## حكم منع الزوج لزوجته من زيارة والديها ومحارمها

# التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦١٦ السنة الثانية والخمسون - ربيع آخر ١٤٤٤ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

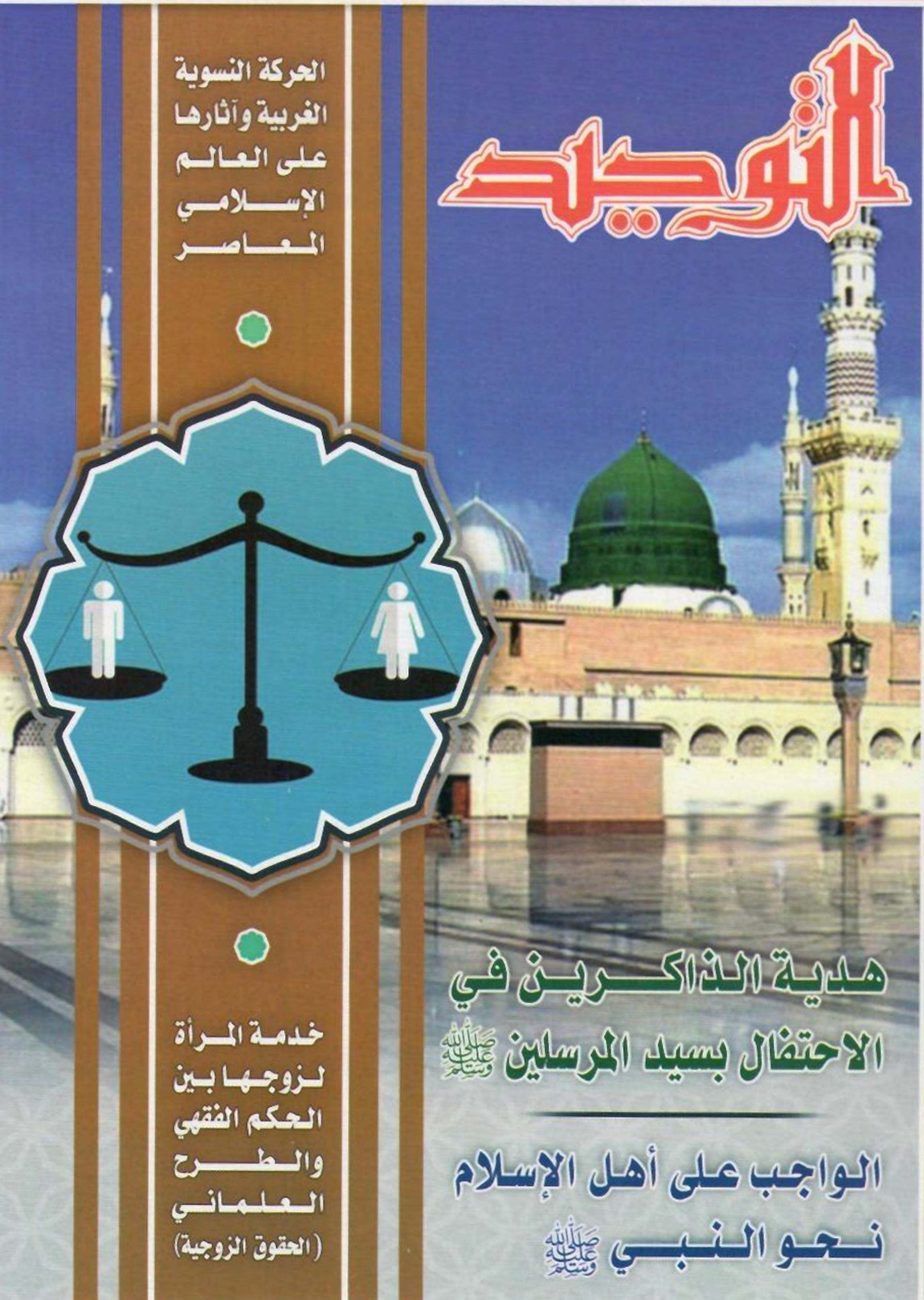

## الحركة النسوية الغربية وآثارها على العالم الإسلامي المعاصر

## خدمة المرأة لزوجها بين الحكم الفقهي والطرح العلماني
(الحقوق الزوجية)

## هدية الذاكرين في الاحتفال بسيد المرسلين ﷺ

## الواجب على أهل الإسلام نحو النبي ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام لمجلة التوحيد

د. عبد العظيم بدوي

أ. د. مرزوق محمد مرزوق

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

رئيس اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

اللجنة العلمية

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

د. عاطف التاجوري

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعادل لهما

# السلام عليكم

## دعوة للتأمل

**أولًا: التجرد والإنصاف:**

بعض الدعاة يريد أن يكون الناس كلهم وفق ما يراه ويعتقده في جميع الأمور، وقد جعل نفسه الأنموذج الذي يقيس الناس ويزنهم به، فمن وافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدع، وذلك لجهله وقصور فهمه مع إعجابه برأيه، لذا تجده متعصبًا لا يقبل الحوار مع سوء خُلقه وفظاظة طبعه وقسوة لفظه.

ونتذكر هنا موقف الإمام مالك رحمه الله وقد طلب منه الخليفة المنصور أن يجمع الناس على كتابه الموطأ، فلم يُوافقه على ذلك. وهذا من تمام علمه واتصافه بالتجرد والإنصاف.

**ثانيًا: التوسط في رعاية الأبناء:**

بعض الناس يُشقي نفسه وأولاده بقصد إسعادهم وتأمين مستقبلهم في الدنيا. ويغفل عن أن الله تعالى هو الذي يتولى تأمين مستقبل الأولاد إذا أخذ آباؤهم بالأسباب الدنيوية والأخروية الصحيحة في تأمين مستقبلهم، مع عدم إضاعة المال قال صلى الله عليه وسلم: ( إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ) (متفق عليه).

ومن أعظم الوسائل المعينة على صلاح الأبناء: صلاحك واستقامتك أنت، قال تعالى: ( وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ) (النساء: ٩)، وقال الله عن سبب حفظ الكنز للغلامين اليتيمين في سورة الكهف: ( وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ) (الكهف: ٨٢). فمن أعظم وسائل تربية الأبناء تقوى الله ولزوم الشرع.

نسأل الله أن يبارك في أرزاقنا وأولادنا وأعمالنا.

**التحرير**

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

# فهرس العدد

افتتاحية العدد د. عبد الله شاكر ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
باب السنة د. مرزوق محمد مرزوق ٨
خدمة المرأة لزوجها د. محمد عبد العزيز ١٢
الإعجاز العلمي في السنة النبوية
الشيخ صلاح نجيب الدق ١٧
غزوة بدر د. سيد عبد العال ٢١
رحلة تاريخية مع اتفاقية سيداو د. أيمن خليل ٢٤
عمل لا ينقطع ثوابه الشيخ عبده أحمد الأقرع ٢٨
الحركة النسوية الغربية د. عبد الوارث عثمان ٣٢
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية د. متولي البراجيلي ٣٨
مدخل إلى علم التفسير د. محمد عاطف التاجوري ٤١
باب الفقه د. حمدي طه ٤٤
فقه المرأة المسلمة د. عزة محمد رشاد ٤٧
باب الأسرة المسلمة د. جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية
الشيخ علي حشيش ٥٣
نماذج تحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
أمنيات الأحياء وأمنيات الأموات
د. صالح بن عبد الله بن حميد ٦١
العطاء سعادة د. ياسر لمعي ٦٤
دراسات قرآنية الشيخ مصطفى البصراتي ٦٨
حكم منع الزوج لزوجته من زيارة والديها ومحارمها
المستشار أحمد السيد علي عبده ٧٠

**صاحبة الامتياز**
جمعية أنصار السنة المحمدية

**رئيس التحرير:**
مصطفى خليل أبو المعاطي

**رئيس التحرير التنفيذي:**
حسين عطا القراط

**مدير التحرير**
إبراهيم رفعت أبو موته

**الإخراج الصحفي:**
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

**إدارة التحرير** ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

**البريد الإلكتروني** ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

**ثمن النسخة**

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر ١٢ ريال ، عمان ١ ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

**١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن**

**منفذ البيع الوحيد**
**بمقر مجلة التوحيد**
**الدور السابع**

# الواجب على أهل الإسلام نحو النبي صلى الله عليه وسلم

الرئيس العام
**د. عبد الله شاكر**

**الحمد لله الذي أرسل رسوله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.**

**وبعد؛ فقد تكلمت في اللقاء الماضي عن بعض ما يجب علينا نحو نبينا صلى الله عليه وسلم، وأواصل الحديث عن ذلك فأقول وبالله التوفيق:**

### ثالثًا: وجوب طاعته والتسليم لأمره صلوات الله وسلامه عليه:

إن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره واجبة علينا بدليل القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع سلف الأمة، قال تعالى: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (النساء: ٦٥)، في هذه الآية الكريمة يُقسم ربنا -جل في علاه- بربوبيته لرسوله صلى الله عليه وسلم، وهو خطاب تكريم للنبي عليه الصلاة والسلام بيّن فيه أنه لا يقع الإيمان من العبد ولا يكون، حتى يُحكِّم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهرًا وباطنًا، ويُسلِّم تسليمًا مطلقًا من غير مدافعة أو منازعة، وقد بيّنت الآية أن الإيمان لا يكون صحيحًا إلا بثلاثة أمور لا بد من تحقيقها:

الأول: تحكيمه صلى الله عليه وسلم في كل قضية وقع فيها نزاع أو خلاف. والثاني: عدم وجود حرج أو ضيق من حكمه عليه الصلاة والسلام. والثالث: التسليم والانقياد المطلق لحكمه صلى الله عليه وسلم، وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أهل الإيمان لتسليمهم وانقيادهم التام في الظاهر والباطن لما حكم به صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: « إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (النور: ٥١)، وهذه الآية تدل على مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه؛ لأن الله تعالى أوجب الانقياد لحكمه وبيّن أنه لا بد من حصول ذلك الانقياد في الظاهر والباطن، كما لا يجوز مخالفة النص بذوق، أو قياس. قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله: «واستدلوا بالآية أيضًا على أن النص لا يُعارض ولا يُخصَّص بالقياس، فمن بلغه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وردَّه بمخالفة قياسه له؛ فهو غير مطيع للرسول صلى الله عليه وسلم، ولا ممن تصدق عليه الخصال الثلاثة المشروطة

في صحة الإيمان بنص الآية، ومخالفة نص القرآن بالقياس أعظم جرمًا وأضل سبيلاً، وتدل الآية بالأولى على بطلان التقليد، فمن ظهر له حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم، في شيء وتركه إلى قول الفقهاء الذين يتعلم مذهبهم كان غير مطيع لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، كما أمر الله عز وجل، وإذا قلنا: إن للعاصي أن يتبع العلماء، فليس المعنى أن يتخذهم شارعين ويُقدِّم أقوالهم على أحكام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم المنصوصة، وإنما يتبعهم بتلقّي هذه النصوص عنهم والاستعانة بهم على فهمها، لا في آرائهم وأقيستهم المعارضة للنص». (تفسير المنار، ج٥، ص٢٣٨).

وعليه أقول: إن كل حديث ثبتت صحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعيّن على كل مؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم الأخذ به وقبوله ظاهرًا وباطنًا، وألاّ يلتمس مخارج لردّه أو تأويله ليخرج به عن ظاهره، لمذهب تقلده، أو عصبية نشأ عليها، قال الإمام صالح بن محمد الفلاني رحمه الله: «إن حكم الحاكم المجتهد إذا خالف نصّ كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجب نقضه ومنع نفوذه، ولا يعارض نص الكتاب والسنة بالاحتمالات العقلية والخيالات النفسانية والعصبية الشيطانية، بأن يقال: لعل المجتهد قد اطلع على هذا النص وتركه لعلة ظهرت له، أو أنه اطلع على دليل آخر ونحو هذا، مما لهج به فرق الفقهاء والمتعصبين، وأطبق عليه جهلة المقلدين فافهم». (نقله عنه القاسمي في محاسن التأويل: ج٥/١٣٧٥).

وقد منع الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يختاروا بعد أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» (الأحزاب: ٣٦)، وعليه أقول: ليس لمؤمن أن يختار بعد أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأن أمرهما حتم واجب التنفيذ.

قال الرازي رحمه الله: «ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فما أمر الله هو المتّبع، وما أراد النبي صلى الله عليه وسلم هو الحق، ومن خالفهما في شيء فقد ضل ضلالاً مبينًا؛ لأن الله هو المقصد، والنبي صلى الله عليه وسلم هو الهادي الموصل، فمن ترك المقصد ولم يسمع قول الهادي فهو ضالّ قطعًا». (تفسير الرازي: ج١٢/ ٥٩٦).

وقد قرن الله -تبارك وتعالى- طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعته في آيات كثيرة من كتابه، كقوله سبحانه: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» (آل عمران: ٣٢). واعتبر القرآن الكريم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة لله، واتباعه حبًا لله -تبارك وتعالى- فقال سبحانه: «مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» (النساء: ٨٠)، وقال سبحانه وتعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (آل عمران: ٣١).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (هذه الآية حاكمة على كل من ادّعى محبة الله وليس هو على الطريقة؛ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ». ولهذا قال تعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله» أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء: ليس الشأن أن تُحِبّ، وإنما الشأن أن تُحَبّ، وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبّون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية). (تفسير ابن كثير: ج٢/٢٥).

والحديث المذكور آنفًا يفيد وجوب الرجوع إلى حكم السنة وترك ما خالفها

امتثالاً لأمر الله تعالى بإيجاب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد كان صحابة النبي عليه الصلاة والسلام يستقون أحكام الشرع من القرآن الكريم الذي يتلقونه من الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك ما كانت تنزل آيات القرآن الكريم مجملة أو مطلقة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يشرحها ويبينها، وقد كانوا -رضوان الله عليهم- يلتزمون حدود أمره ونهيه، ويتبعونه في أقواله وعباداته ومعاملاته، وقد بلغ من اقتدائهم بالنبي-عليه الصلاة والسلام- أن كانوا يفعلون كما يفعل ويتركون ما يترك دون أن يعلموا لذلك سببًا، أو أن يسألوه عن علته وحكمته، فقد أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتمًا من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني اتخذت خاتمًا من ذهب فنبذه، وقال: إني لا ألبسه أبدًا، فنبذ الناس خواتيمهم». وقد بوَّب البخاري رحمه الله لهذا الحديث بقوله: «باب الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم». وعلّق الحافظ ابن حجر رحمه الله على هذه الترجمة بقوله: والأصل فيه قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»، وقد ذهب جمع إلى وجوبه لدخوله في عموم الأمر بقوله تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ» وبقوله: «فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ». (فتح الباري: ج١٣/ ٢٧٤).

كما كان الصحابة رضي الله عنهم يعتبرون ما جاء به في سنته كالقرآن في وجوب العمل به، ويدل على ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيِّرات خلق الله». فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا»؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه، قالت: فإني أرى أهلك يفعلونه. قال: فاذهبي فانظري، فذهبت فنظرت فلم ترَ من ذلك شيئًا، فقال: لو كانت كذلك ما جامعتها. (البخاري: ٤٨٨٦).

والشاهد من الحديث إطلاق ابن مسعود رضي الله عنه لعن من فعل ذلك إلى كتاب الله، وقد فهمت أم يعقوب ذلك، وقررها على هذا الفهم، وبيّن لها أنه أراد بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن كلامه وحي من عند الله، وقد أخبر الله في كتابه عن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للقرآن، وأنه مبين له مُوضح لمراميه وآياته، فقال تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل: ٤٤)، قال الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية حكْمتين من حكم إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم؛ إحداهما: أن يبيّن للناس ما نُزّل إليهم في هذا الكتاب من الأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، ونحو ذلك، وقد بيّن هذه الحكمة في غير هذا الموضع كقوله: «وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ». والحكمة الثانية: هي التفكر في آياته والاتعاظ بها كما قال هنا: «وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»». (أضواء البيان: ج٣/٢٧٥).

وختامًا أقول: إن الله تبارك وتعالى وعد مَن أطاع النبي صلى الله عليه وسلم بدخول الجنة، وتوعد مَن عصاه بدخول النار، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمّتي يدخلون الجنة إلا مَن أبى، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

أسأل الله تعالى أن يُوفقنا لمرضاته واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم، وللحديث صلة بإذن الله.

# سُورَةُ الرُّوم

سُورَةُ الرُّوم

سُورَةُ الرُّوم

**قال تعالى:** « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ »

(سورة الروم: ٢٣- ٢٧).

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

«ومِنْ آياته يُريكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَيُحْيِي به الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إنَّ فِي ذَلكَ لَآياتٍ لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٤»:

وَمِنْ دَلائِلِ التَّوْحِيد وَالْقُدْرَةِ الْبَرْقُ، تِلْكَ الظَّاهِرَةُ الْكَوْنِيَّةُ الْمَحْسُوسَةُ، يَرَاهَا النَّاسُ فَيَخَافُونَ أَنْ يَحْرِقَهُمْ وَمَنَازِلَهُمْ، أَوْ يَذْهَب بِأَبْصارِهِمْ، وَيَطْمَعُونَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَهُ الْمَطَرُ الَّذي يُحْيي الله بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها، « ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (الروم: ٤٨-٥٠).

### ١٧- بقاء السموات والأرض:

«وَمِنْ آيَاتِه أن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِه ثُمَّ إذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ٢٥»، وَمِنْ دَلائل التَّوْحيد وَالْقُدْرَة بَقَاءُ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلَى الْأَجَلِ الْمُسَمَّى عنْدَ الله، فَالله تَعَالَى خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ لَهُمَا أَجَلًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى » (الأحقاف ٣)، فَهُمَا قَائِمَتَان، بَاقِيَتَان، مَا بَقِيَ الأَجَلُ، فَإِذَا انْتَهَى زَالَتَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا » (فاطر: ٤١)، وَقَالَ تَعَالَى: « أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (الحج: ٦٥).

## منْ أهْوال يوْم القيامَة:

فَإذَا انْتَهَى الأَجَلُ، وَنُفِخَ فِي الصُّور، انْفَطَرَت السَّمَاءُ، وَانْشَقَّت الأَرْضُ، وَسُيِّرَت الجِبَالُ، وَانْتَهَت الدُّنْيَا، ثُمَّ نُفِخَ فِي الصُّور النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ، وَنَادَى المُنَادِي عَلَى العِظَام البَالِيَة، فَإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُون، كما قَالَ تَعَالَى: « وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ » (ق: ٤٢-٤٤)، وَقَالَ تَعَالَى: « فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ » (القمر: ٦-٨).

## لا إلهَ إلاّ الله:

« وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَات وَالأَرْض كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ٢٦ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَات وَالأَرْض وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ٢٧ »:

لَمَّا ذَكَرَ الآيَاتِ وَكَانَ مَدْلُولُهَا القُدْرَةَ عَلَى الحَشْر الَّتِي هِيَ الأَصْلُ الآخَرُ، وَالوَحْدَانِيَّةَ الَّتِي هِيَ الأَصْلُ الأَوَّلُ، أَشَارَ إِلَيْهَا بِقَوْله: « وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَات وَالأَرْض » يَعْنِي لا شَرِيكَ لَهُ أَصْلًا، لأَنَّ السَّموَات وَالأَرْض وَمَنْ فِيهِمَا مِلْكُهُ، فَكُلٌّ لَهُ مُنْقَادُون قَانِتُون، وَالشَّرِيكُ يَكُونُ مُنَازِعًا مُمَاثِلًا، فَلا شَرِيكَ لَهُ أَصْلاً.

## مَعْنى القُنُوت:

وأَمَّا قَوْلُهُ تعالى: « كُلٌّ لَهُ قَانِتُون ٢٦ » فَالقُنُوتُ المَذْكُورُ هُوَ القُنُوتُ القَدَرِيُّ، الَّذِي لا يَتَرَتَّبُ عَلَيْه ثَوَابٌ، وَهُوَ جَرَيَانُ قَدَر الله فِي كُلِّ خَلْقِه، شَاءُوا أَمْ أَبَوْا، فَمَا شَاءَ الله كَانَ وَإِنْ لَمْ يَشَأ العِبَادُ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَإِنْ شَاءَ العِبَادُ.

أَمَّا القُنُوتُ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْه الثَّوَابُ فَهُوَ الاسْتِجَابَةُ لله وَلِلرَّسُول، وَطَاعَةُ الله وَالرَّسُول، فَمَن اسْتَجَابَ فَلَهُ الحُسْنَى، وَمَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ فَلَهُ النَّارُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ » (الرعد: ١٨).

## « ذلك حشرٌ علينا يسير »:

ثُمَّ ذَكَرَ المَدْلُولَ الآخَرَ، فَقَالَ تَعَالَى: « وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه » أَيْ فِي نَظَرِكُمُ الإِعَادَةُ أَهْوَنُ مِنَ الإِبْدَاء، لأَنَّ مَنْ يَفْعَلُ فِعْلاً أَوَّلاً يَصْعُبُ عَلَيْه، ثُمَّ إِذَا فَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مِثْلَهُ يَكُونُ أَهْوَن. (التفسير الكبير (٢٥/ ١١٧و١١٨)).

عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ الله عنه: يَعْنِي أَيْسَرُ عَلَيْه. وَقَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ الله: الإِعَادَةُ أَهْوَنُ عَلَيْه من البَدَاءَة، وَالبَدَاءَةُ عَلَيْه هَيِّنَةٌ. وكذا قَالَ عِكْرِمَةُ وَغَيْرُهُ.

وَرَوَى البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عنه عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: « قَالَ الله: كَذَّبَنِي

ابنُ آدم ولَمْ يكُنْ لَهُ ذلكَ، وشتمني ولَمْ يكُنْ لَهُ ذلكَ، فأمَّا تكْذيبُهُ إيَّايَ فقوْلُهُ لنْ يُعيدني كما بدأني، وليْس أوَّلُ الخَلْق بأهْوَنَ عليَّ منْ إعادته، وأمَّا شَتْمُهُ إيَّايَ فقوْلُهُ اتَّخذَ اللهُ ولَدًا، وأنا الأحدُ الصَّمدُ الَّذي لمْ يلدْ ولَمْ يُولدْ، ولَمْ يكُنْ لهُ كُفُوًا أحدٌ». (البخاري (٨/ ٧٣٩/ ٤٩٧٤)، ن(٤/١١٢)).

وقوْلُهُ تعالى: «ولَهُ المَثَلُ الأعْلى في السَّماوات والأرْض» عنْ ابن عبَّاس رضي الله عنه كقوْله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» (الشورى ١١)، وقال قتادةُ رحمهُ الله: مثلُهُ أنَّهُ لا إله إلا هُو، ولا ربَّ غيْرُه. «وهُو العزيزُ» الَّذي لا يُغالبُ ولا يُمانعُ، بلْ قدْ غلبَ كُلَّ شيْءٍ، وقهر كُلَّ شيْءٍ بقُدْرته وسُلْطانه. «الحكيمُ ٢٧» في أقْواله وأفْعاله شرْعًا وقدْرًا. (تفسير القران العظيم (٣/ ٤٣٠، ٤٣١)).

### منْ لطائف الآيات:

بدأ أوَّلًا منَ الآيات بالنَّشأة الأولى، وهي خَلْقُ الإنْسان منَ التُّراب، ثُمَّ كوْنُهُ بشرًا مُنْتشرًا، وهُو خلْقُ حيٍّ منْ جماد. ثُمَّ أتْبعهُ بأنْ خلق لهُ منْ نفْسه زوْجًا، وجعل بيْنهُما توادًّا، وذلك خلْقُ حيٍّ منْ عُضْو حيٍّ. وقال: «لقوْم يتفكَّرُون ٢١»، لأنَّ ذلك لا يُدْركُ إلا بالفكْر في تأليف بيْن شيْئيْن لم يكُنْ بيْنهُما تعارُفٌ. ثُمَّ أتْبعهُ بما هُو مُشاهدٌ للعالم كُلِّهم، وهُو خلْقُ السَّموات والأرْض، واخْتلافُ اللُّغات والألْوان، والاخْتلافُ منْ لوازم الإنْسان لا يُفارقُهُ، وقال: «للعالمين ٢٢» لأنَّها آيةٌ مكْشُوفةٌ للعالم. ثُمَّ أتْبعهُ بالمنام والابْتغاء، وهُما منَ الأُمُور المُفارقة في بعْض الأوْقات، بخلاف اخْتلاف الألْسنة والألْوان، وقال: «لقوْم يسْمعُون ٢٣» لأنَّهُ لمَّا كان منْ أفْعال العبادة قدْ يُتوهَّمُ أنَّهُ لا يُحْتاجُ إلى مُرْشد، فنبَّه على السَّماع، وجعل البال منْ كلام المُرْشد.

ولمَّا ذكر عرضيَّات الأنْفُس اللازمة والمُفارقة، ذكر عرضيَّات الآفاق المُفارقة منْ إراءة البرْق وإنْزال المطر، وقدَّمها على ما هُو منَ الأرْض، وهُو الإتْيانُ والإحْياءُ، كما قدَّم السَّموات على الأرْض، وقدَّم البرْق على الإنْزال، لأنَّهُ كالمُبشِّر يجيءُ بيْن يديِ القادم، والأعْرابُ لا يعْلمُون البلاد المُعْشبة، إنْ لمْ يكُونُوا قدْ رأوْا البُرُوق اللائحة منْ جانب إلى جانب، وقال: «لقوْم يعْقلُون ٢٤»، لأنَّ البرْق والإنْزال ليْس أمْرًا عاديًّا فيُتوهَّمُ أنَّهُ طبيعة، إذْ يقعُ ذلك ببلْدة دُون أُخْرى، ووقْتًا دُون وقْت، وقويًّا وضعيفًا، فهُو أظْهرُ في العقْل دلالةً على الفاعل المُخْتار، فقال: هُو آيةٌ لمنْ عقل بأنْ لمْ يتفكَّرْ تفكُّرًا تامًّا.

ثُمَّ ختم هذه الآيات بقيام السَّموات والأرْض، وذلك منَ العوارض اللازمة، فإنَّ كُلًّا منَ السَّماء والأرْض لا يخْرُجُ عنْ مكانه، فيتعجَّبُ منْ وُقُوف الأرْض وعدم نُزُولها، ومنْ عُلُوِّ السَّماء وثباتها منْ غيْر عمد.

ثُمَّ أتْبع ذلك بالنَّشأة الأُخْرى، وهي الخُرُوجُ منَ الأرْض، وذكر تعالى منْ كُلِّ باب أمْريْن: منَ الأنْفُس خلقكُمْ وخلق لكُمْ، ومنَ الآفاق السَّماء والأرْض، ومنْ لوازم الإنْسان اخْتلافُ الألْسنة واخْتلافُ الألْوان، ومنْ خواصِّه المنامُ والابْتغاءُ، ومنْ عوارض الآفاق البرْقُ والمطرُ، ومنْ لوازمه قيامُ السَّماء وقيامُ الأرْض. (البحر المحيط ٧/١٦٨ و١٦٩).

وللحديث بقيَّةٌ إنْ شاء الله، والحمْدُ لله ربِّ العالمين.

# هدية الذاكرين في الاحتفال بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب المشرف العام

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على النبي الكريم وأصحابه الغرّ الميامين وآل بيته ومن اهتدى بهديه من الصالحين، وبعد:

فإن مما لا شك فيه كثرة اهتمام المسلمين في الأيام الخالية القريبة بالاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم كما يزعمون، وحُقَّ للناس أن تكون شكر نعمة مبعثه في قلوب الناس أكثر من هذا، لكن ينبغي مع هذا الاستحقاق أن يكون محفوفًا بلباس العبودية الذي مقتضاه الوقوف على أوامر الله في كيفية هذا الشكر، فلا نُحرِّك ساكنًا ولا نُسكِّن متحركًا إلا وهو مأذون فيه، وهذا هو مقتضى المحبة.

### الحديث:

روى أبو داود في سننه قال: حدثنا أحمد بن صالح قرأت على عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».

### التخريج والتحقيق:

أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) واللفظ له، وأحمد (٨٧٩٠) وصححه الألباني بطرقه وشواهده في صحيح سنن أبي داود، والحديث حسن جيد الإسناد، وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة. قاله الشيخ العلامة محمد بن عبد الهادي رحمه الله.

وقال في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: رواته مشاهير، لكن قال أبو حاتم الرازي فيه عبد الله بن نافع ليس بالحافظ نعرف وننكر. وقال ابن معين: هو ثقة، وقال أبو زرعة: لا بأس به.

وقال ابن تيمية: ومثل هذا إذا كان لحديثه

شواهد عُلم أنه محفوظ، وهذا له شواهد متعددة. انتهى.

ومن شواهده ما روي عن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا؛ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم" رواه الضياء في المختارة وأبو يعلى والقاضي إسماعيل.

### سبب اختيار هذا الحديث:

هو ما انتشر في الأيام التي نحياها والتي قبلها من رغبة بعض أهل الفضل في عمل الخير بالاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم بما يقدمونه من أعمال لا يبالون إن كانت ممنوعة أو كانت مشروعة أو أصلها مشروع لكنها وافقت عملاً ممنوعًا أو حتى مشروعة في موضع وزمن غير مشروع؛ إذ كله ممنوع، فأحببنا أن نهدي للمحبين المشروع من هدي سيد المرسلين الذي أمر رب العالمين وغير المقيد بزمن ولا عيد والمنصرف لله لا للعبيد؛ مثل عبادة الذكر عامة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة من هذا الحديث؛ هذا لمن يحب الله ورسوله حقًّا ويرجو التأسي بحبيبه صدقًا كما قال الله تعالى: « قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ »(آل عمران: ٣١).

إذن فآية المحبة الاتباع لا كما أحدث الناس من ابتداع بدعوى المحبة، حتى رأينا بعضهم يغالي في بدعته عندما طالبه المنصفون بالدليل على فعله فيقول: "ولو خرج علينا رسول الله فقال: لا تحتفلوا سنحتفل ولا نبالي"؛ أي ليس فقط أنه يبتدع خلافًا للدليل، بل كذلك يتعمد مخالفة الأمر لو جاءه؛ إعجابًا برأيه ضد الأمر الشرعي، ولأنني ليس من عادتي تناول الأسماء لكن القائل لا يزال من الأحياء.

### شرح الحديث:

(لا تجعلوا بيوتكم قبورًا): أي لا تتركوا عبادة الذكر والصلوات وسائر العبادات فتكونوا فيها كأنكم أموات. شبَّه المكان الخالي عن العبادة بالقبور، والغافل عنها بالميت، ثم أطلق القبر على المقبرة. ودلالة القرآن على كون المستجيب لله تعالى بعبادته وذكره أنه من الأحياء وغير المستجيب بأنه من الأموات قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ »(الأنفال: ٢٤)، وقال تعالى: « أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا »(الأنعام: ١٢٢)؛ فجعل الله عز وجل الطائع الذاكر حيًا وبمفهوم المخالفة فالعاصي الغافل ميَت، ويكون الموت على قدر الغفلة، والحياة على قدر الطاعة.

وقيل: المراد: لا تدفنوا في البيوت، وانما دُفن المصطفى في بيت عائشة مخافة اتخاذ قبره مسجدا، ذكره القاضي، قاله المناوي في فتح القدير، وقال الخفاجي: ولا يرد عليه أنه -صلى الله عليه وسلم- دُفنَ في بيته؛ لأنه اتُّبع فيه سُنة الأنبياء عليهم السلام كما ورد: "ما قُبض نبيٌّ إلا دُفنَ حيث يُقْبَض". فهو مخصوص بهم انتهى.

٢- (ولا تجعلوا قبري عيدًا)؛ أي لا تقصدوا قبري بالزيارة للاحتفال عنده كالاحتفال بأعياد المسلمين، بل ولا تشدوا إليه الرحال؛ إذ الرحال تُشدّ إلى المسجد النبوي المبارك،

> “إنما دُفن المصطفى في بيت عائشة مخافة اتخاذ قبره مسجدا.”

> “كان للمشركين أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها، وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر.”

ثم يقصد الزائر القبر الشريف بالزيارة والسلام المشروع لا التعبد الممنوع ولا ما يفعله الجاهلون عند القبور ونحوها، والعيد اسم ما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائدًا ما يعود السنة أو يعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك.

وقال ابن القيم: "العيد ما يُعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان مأخوذ من المعاودة والاعتياد، فإذا كان اسمًا للمكان فهو المكان الذي يُقصَد فيه الاجتماع الانتياب بالعبادة وبغيرها كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله تعالى عيدًا للحنفاء ومثابة للناس، كما جعل أيام العيد منها عيدًا.

وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها، وعوَض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بكعبة ومنى ومزدلفة و سائر المشاعر انتهى.

قال المناوي في فتح القدير: "معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد إما لدفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حد التعظيم، وقيل: العيد ما يُعاد إليه أي لا تجعلوا قبري عيدًا تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا عليَّ، فظاهره نهي عن المعاودة، والمراد المنع عما يوجبه، وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه".

٣- ويؤيده قوله: "وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"؛ أي لا تتكلفوا المعاودة إليَّ؛ فقد استغنيتم بالصلاة عليَّ.

### مما يُستفاد من الحديث:

١- كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم حريصًا على أمَّته، يُعلِّمهم الخير، ويأمرهم بما ينفعُهم؛ ومن هذا أنَّه صلى الله عليه وسلم أمَرَهم أنْ يَجعلوا نصيبًا من صلاتهم وعبادتهم في بُيوتهم، والصَّلاة عليه، وغير ذلك من العباداتِ المهِمَّة التي نَبَّهَهُمْ لفعْلها.

٢- أهمية التوحيد وسدَ كل ذريعة إلي الشرك؛ إذ نهى عن قصد قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالزيارة الخاصة المستقلة عن زيارة المسجد حتى ولو لم يحدث عنده، فما بالنا بمن أحدث؟! وما بالنا بمن أشرك؟! فصرف ما لا يكون إلا لله من العبادات كالدعاء صرفه لرسول الله وحاشاه، وما بالنا بمن يفعل ذلك لغير رسول الله من الشركاء صلحاء كانوا أم غير صلحاء، أمواتًا كانوا أو أحياء؟! وحق لنا أن نحتفل فنداوم على شكر ربنا على نعمة الإسلام الذي يحرر العقول والقلوب ويربطها بعلام الغيوب فيخرج العباد من عبادة العباد لعبادة رب العباد، فيعلوا بأرواحهم من وحل الطين إلى عنان السماء.

٣- وفيه: الحثُّ على الصَّلاة على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وما أعظمها من عبادة للمحبين حقًّا! وما أحلاها من قربى للمتبعين صدقًا! فليست العبادات بالرأي وليس الحب بالهوى، ولكن الامتثال دليل الحب.

٤- وفيه: بَيانٌ لكرامة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم على رَبِّه؛ إذ تبلغه الملائكة السلام مهما كان موقع المسلم من الأنام، فيا لها من كرامة ومحبة من الله وعلى الإيمان دليل وعلامة.

٥- وفي الحديث دليل على مَنْع شدَ الرحل إلى قبره -صلى الله عليه وسلم-، وإلى قبر غيره من القبور والمشاهد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعيادًا؛ قاله شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله.

قال في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: وهذه هي المسألة التي أفتى فيها شيخ الإسلام أعني من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، ونقل فيها اختلاف العلماء، فمن مُبيح

لذلك كالغزالي وأبي محمد المقدسي، ومن مانع لذلك كابن بطة وابن عقيل وأبي محمد الجويني والقاضي عياض، وهو قول الجمهور. نص عليه مالك ولم يخالفه أحد من الأئمة وهو الصواب؛ لحديث "لا تُشد الرحال إلى ثلاثة مساجد"؛ كما في الصحيحين. انتهى كلامه.

٦- وقال المناوي رحمه الله: ويُؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة، ويقولون هذا يوم مولد الشيخ ويأكلون ويشربون، وربما يرقصون فيه؛ منهيّ عنه شرعًا، وعلى ولي الشرع ردْعهم على ذلك، وإنكاره عليهم وإبطاله. انتهى.

٧- والحديث دليل على منع السفر لزيارته -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن المقصود منها هو الصلاة والسلام عليه والدعاء له -صلى الله عليه وسلم-، وهذا يمكن استحصاله من بُعد كما يمكن من قُرب، وأن مَن سافر إليه وحضر من ناس آخرين؛ فقد اتخذه عيدًا، وهو منهي عنه بنص الحديث، فثبت منع شد الرحل لأجل ذلك بإشارة النص، كما ثبت النهي عن جعله عيدًا بدلالة النص، وهاتان الدلالتان معمول بهما عند علماء الأصول. ووجه هذه الدلالة على المراد قوله: "تبلغني حيث كنتم"؛ فإنه يشير إلى البُعد، والبعيد عنه -صلى الله عليه وسلم- لا يحصل له القرب إلا باختيار السفر إليه، والسفر يصدق على أقل مسافة من يوم، فكيف بمسافة بعيدة، ففيه النهي عن السفر لأجل الزيارة فقط. والله أعلم.

### نصيحة وخاتمة:

هو التحذير مما يُحدثه الناس اليوم من عدم عنايتهم بالعبادات ولا تعظيمهم لمواطن الشعائر والمقدسات غير أنهم لا يقصدون إلا الزيارة، فإذا كانوا بالمسجد وتلبثوا بالصلاة؛ إذ بعضهم لا يهتم بها بالكلية، فإذا سلم الإمام عن الصلاة قاموا في مصلاهم مستقبلين القبر الشريف بأفعال بدعية ومخالفات شرعية قد تصل أحيانًا إلى مشابهة المشركين من سؤال غير الله وصرف عبادة للمخلوق لا تُصرف إلا لله، ومن أعظم البدع المحرمة: هجوم النسوة حول حجرة المرقد المنور وقيامهن هناك في أكثر الأوقات وتشويشهن على المصلين بالسؤال وتكلمهن مع الرجال كاشفات الأعين والوجوه فإنا لله.. إلى ما ذهب بهم إبليس العدو وفي أي هوة أوقعهم في لباس الدين وزي الحسنات. وإن شئت التفصيل في هذه المسألة، فانظر إلى كتب شيوخ الإسلام كابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الهادي من المتقدمين، وأما من المتأخرين فكشيخنا العلامة القاضي بشير الدين القنوجي رحمه الله تعالى، فإن كتابه أحسن الأقوال في شرح حديث: لا تُشد الرحال، والرد على منتهى المقال من أحسن المؤلفة في هذا الباب.

> لا تُشد الرحال إلى ثلاثة مساجد.

واعلم أن زيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أشرف من أكثر الطاعات وأفضل من كثير المندوبات، لكن ينبغي لمن يسافر أن ينوي زيارة المسجد النبوي، ثم يزور قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويصلي ويسلم عليه. اللهم ارزقنا زيارة المسجد النبوي وزيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- آمين. (يُنظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم أبادي شمس الدين، الجزء السادس، ص ٢٤ وما بعدها بتصرف ليس باليسير).

وأستغفر الله لي ولكم،

**والحمد لله رب العالمين.**

# خدمة المرأة لزوجها بين الحكم الفقهي و الطرح العلماني

## (الحقوق الزوجية)

إعداد **د. محمد عبد العزيز**

«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ» (سبأ: ١)، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين، وبعد:

فإن قيام الأسرة على الأسس والقواعد التي أرساها الإسلام من: حفظ الحقوق، والقيام بالواجبات، والتعامل بالإحسان، ينشر فيها الأُنس والمودة والرحمة، وفي ذلك حفظ لها من التفكك، ونشر للطمأنينة بين أطرافها، وإن لم تقم العلاقة بين الزوجين على الحُبّ، فكم من أُسرة قامت على هذه الأسس لما تحققت وإن غاب الحُبّ بين طرفيها، قال الله تعالى: «فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا» (النساء: ١٩).

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقًا رضي منها آخر» أخرجه مسلم (١٤٦٩)، ومعنى يفرك: يبغض أو يكره.

ومسألة خدمة المرأة زوجها من الأسس والقواعد التي جعلتها الشريعة بين الزوجين سواء كانت من الحقوق الواجبة عليها له، أو من الإحسان في المعاملة.

وهي مسألة من مسائل الحقوق التي اختلف فيها الفقهاء قديمًا فلم يكن في خلافهم مساغٌ لتخبيب المرأة على زوجها أو تزهيدُ للرجل في الزواج.

وهذه المسألة مثلها في الاختلاف مثل اختلاف الفقهاء في وجوب تكفل الرجل بعلاج امرأته سواء قالوا: إن العلاج ليس من الحاجات الأساسية، أو قالوا: إن النفقة إنما تكون فيما يقابل المنفعة، والتداوي إنما هو لحفظ أصل الجسم فلا يجب عليه التكفل بالعلاج.

لكن التيارات العلمانية وكثير من الجمعيات النسوية حاولت استغلال هذا الثراء في الفقه الإسلامي لإيجاد فجوة ينفذون منها إلى الأسرة ليُحدثوا بها شرخًا في العلاقة الزوجية، فينبغي للمصلحين التنبه لمثل هذه الأحابيل.

أما من ناحية الشريعة فإن عقد الزواج من أعظم العقود التي يعقدها المكلفون حتى وصفه الله بأنه ميثاق غليظ، قال عز وجل: «وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا» (لنساء: ٢١).

والحقوق الزوجية المترتبة على هذا العقد من آكد الحقوق التي أمر الله بالوفاء بها، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» (المائدة: ١).

وهذه الحقوق منها ما هو متفق عليه بين الفقهاء، ومنها ما هو مُختَلف فيه، وقبل البيان لمسألة خدمة المرأة لزوجها سأتناول في هذا المقال باختصار غير مخل -إن شاء الله تعالى- مسألة الحقوق الزوجية، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

الحقوق الزوجية باعتبار من تنسب إليه تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الحقوق المشتركة بين الزوجين.

القسم الثاني: الحقوق المختصة بالرجل.

القسم الثالث: الحقوق المختصة بالمرأة.

أما القسم الأول: الحقوق المشتركة بين الزوجين:

فهي تنقسم إلى قسمين:

الأول: حقوق مالية.

الثاني: حقوق غير مالية.

أما الحقوق المالية:

فهو حق التوارث بين الزوجين بمجرد العقد، فيرث الرجل امرأته إن ماتت عنه ولو لم يدخل بها، وترث المرأة زوجها وتحد عليه أربعة أشهر وعشرًا وإن لم يدخل بها، قال تعالى: «وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ» (النساء: ١٢).

**أما الحقوق غير المالية، فمنها:**

١- انتشار المحرمية بالمصاهرة بين الزوجين: فتحرم أم الزوجة على الزوج وإن علت على التأبيد بمجرد العقد، وتحرم ابنتها عليه بالدخول، وتحرم الزوجة على أب زوجها وإن علا، وعلى ابنه وإن نزل.

٢- المعاشرة بالمعروف، وهو حق مشترك بين الزوجين، قال الله تعالى: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» (البقرة: ٢٢٨).

قال الغزالي في الإحياء (٢/ ٤٣): «والمعاشرة بالمعروف: تكون بحُسن الخُلق معها، وكف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عن طيشها وغضبها؛ اقتداءً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد كانت أزواجه تراجعْنه الكلام؛ بل أن يَزيد على احتمال الأذى منها بالمداعبة، والمزاح والملاعبة، فهي

التي تُطيِّب قلوبَ النساء، وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمزح معهنَّ».

٣- حق الإنجاب: وهو حق من الحقوق الفطرية الأصيلة التي يحتاجها كل من الرجل والمرأة، ولذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم الرجل أن يعزل عن المرأة إلا بإذنها.

٤- حفظ أسرار الفراش: فلا يجوز للزوجين أن يفشيا أسرار الاستمتاع بينهما، فذلك من المحرمات، وهو يُفضي لكثير من الشرور، وقد عدَّه بعض أهل العلم من الكبائر، فقد ذكره ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢ / ٤٥) قال: الكبيرة الثالثة والرابعة والستون بعد المائتين: إفشاء الرجل سرَّ زوجته وهي سره.

ومن أدلة تحريم ذلك حديث أبي سعيد الخدري، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتُفضي إليه، ثم ينشر سرها» أخرجه مسلم (١٤٣٧).

قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٠/٨-٩): «وفي هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل منكم رجل أتى أهله، فأغلق عليه بابه، وألقى عليه ستره، واستتر بستر الله؟ قالوا: نعم. قال: ثم يجلس بعد ذلك، فيقول: فعلت كذا، فعلت كذا. فسكتوا. ثم أقبل على النساء؛ فقال: منكن من تحدِّث؟ فسكتن. فجثت فتاة كعاب، على إحدى ركبتيها، وتطاولت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليراها ويسمع كلامها، فقالت: يا رسول الله، إنهم ليحدثون، وإنهن ليحدثن. فقال: هل تدرون ما مثل ذلك؟ إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانًا في السكة، فقضى حاجته والناس ينظرون إليه» [أخرجه أبو داود ٢١٧٤، وصححه الألباني بشواهده في إرواء الغليل ٧/٧٣/ ٢٠١١].

قال في عون المعبود (٦ / ١٥٨): «والحديث يدل على تحريم إفشاء أحد الزوجين لما يقع بينهما من أمور الجماع؛ وذلك لأن كون الفاعل لذلك بمنزلة شيطان لقي شيطانة فقضى حاجته منها والناس ينظرون من أعظم الأدلة الدالة على تحريم نشر أحد الزوجين للأسرار الواقعة بينهما الراجعة إلى الوطء ومقدماته».

٥- المناصحة بين الزوجين: وهي حق لكل من الزوجين على الآخر، والأدلة العامة تدل عليه، فمن ذلك حديث تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» أخرجه مسلم (٥٥).

أما القسم الثاني: الحقوق المختصة بالرجل، فهو حق أصيل، وحق الرجل على امرأته أعظم من حقها عليه؛ لحديث قيس بن سعد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت آمرًا

أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن؛ لما جعل الله لهم عليهن من الحق، أخرجه أبو داود (٢١٤٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٦٠): «وليس على المرأة -بعد حق الله ورسوله- أوجب من حق الزوج».

فمن هذه الحقوق:

١ـ حق الطاعة في المعروف: فلا يحل للمرأة أن تعصى زوجها فيما يأمرها به بأربعة شروط:

١ـ أن يأمرها بمباح.
٢ـ أن يكون لها طاقة على الإتيان به.
٣ـ ألا يقع عليها ضرر بفعله.
٤ـ ألا يشغلها عن فعل واجب.

لقوله تعالى: «فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا» (النساء: ٣٤).

٢- القرار في البيت وعدم الخروج منه إلا بإذن الزوج؛ لقول الله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» (الأحزاب:٣٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد، فأذنوا لهن» أخرجه البخاري (٨٦٥)، ومسلم (٤٤٢).

وجه الدلالة من الحديث: أن النبي صلي الله عليه وسلم جعل جواز خروجهن لشهود الصلاة في المسجد بإذن من الزوج، فغيره من باب أولى.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلي الله عليه وسلم: «أتأذن لي أن آتي أبوي؟» أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

وجه الدلالة من الحديث: أن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لم تستجز أن تذهب إلى بيت أبويها إلا بإذن زوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم فغيره من الخروج باب أولى..

٣- عدم الإذن لأحد في دخول بيته بغير إذنه:

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه». رواه البخاري (٤٨٩٩) ومسلم (١٠٢٦).

ولحديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ (الطويل في حجة الوداع) قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «وإن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه» أخرجه مسلم (١٢١٨).

٤- حفظ مال الزوج: وحفظه يكون بحسن التدبير، وترك الإسراف والتبذير، وعدم الأخذ منه إلا بإذنه، لحديث عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع عليهم، وهو مسؤول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» أخرجه البخاري (٢٤٠٩) ومسلم (١٨٢٩).

٥- حفظه في نفسها وفي ولده: بأن تحفظ عرضها وتصون نفسها، وأن تحفظ ولدها وتعلمه ما يحتاج إليه، لقوله تعالى: «فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ» (النساء: ٣٤).

٦- للزوج على زوجته ولاية التأديب؛ وهذه الولاية لها درجات وآداب تطلب من محلها، ومن دلائل هذا الحق قوله تعالى: «وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا» (النساء: ٣٤).

٧- تمكين الزوج من الاستمتاع؛ وهو حق أصيل قام له هذا العقد، ويجب على الزوجة أن تمكن زوجها من استيفائه بأربعة شروط:

١- إذا كانت الزوجة أهلاً لذلك بأن تكون مطيقة صحيحة.

٢- ألا تتضرر به سواء لمرضها، أو خوفًا من نقل عدوى بمرضه.

٣- أن تكون خالية من الموانع الشرعية كالتلبس بالإحرام أو الصيام أو التأخير لطاعة مؤقتة، أو الانشغال عن طاعة واجبة.

٤- أن تكون خالية من الموانع الطبيعية كالحيض والنفاس.

ومن أدلة وجوب هذا الحق حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح» أخرجه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦).

أما القسم الثالث: الحقوق المختصة بالمرأة.

فهي تنقسم إلى قسمين:

الأول: حقوق مالية.

الثاني: حقوق غير مالية.

أما الحقوق المالية، فهي:

١- المهر (الصداق): وضابط الصداق إما العرف، أو ما اتفق عليه الزوجان تراضيًا، لقوله تعالى: «وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً» (النساء: ٤)، وقوله: «وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» (النساء: ٢٠، ٢١).

٢- النفقة: وضابط النفقة الواجبة أمران:

الأول: حال الزوج ضيقًا وسعة.

الثاني: العرف الذي تعرف عليه الناس في حاله وحالها.

ومن أدلة وجوب النفقة قوله تعالى: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» (النساء: ٣٤)، وقوله: «لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا» (الطلاق: ٧).

وفي حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» أخرجه مسلم (١٢١٨).

٣- السكنى: لقوله تعالى: «أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ» (الطلاق: ٦)، وقال عز شأنه: «لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ» (الطلاق: ١).

الحقوق غير المالية، ومنها:

١- العدل في القسم بين الزوجات: إذا كان له أكثر من زوجة، وترك العدل بين الزوجات إثم عظيم، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: «مَن كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل» أخرجه أحمد (٢٧٨٤٧)، وأبو داود (٢١٣٣)، وابن ماجه (١٩٦٩).

قال الخطابي في معالم السنن (٣/ ٢١٩): «وفي هذا الحديث أن القَسْم قد يكون بالنَّهار، كما يكون بالليل».

٢- الإحسان إليهن، وعدم الإضرار بهن: عن سليمان بن عمرو بن الأحوص حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثم قال: استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عندكم عوان ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً. إن لكم من نسائكم حقًّا ولنسائكم عليكم حقًّا؛ فأما حقكم على نسائكم: فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون. ألا وحقهن عليكم: أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن». رواه الترمذي (١١٦٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١٨٥١).

أما مسألة خدمة المرأة زوجها فهي من المسائل المختلف فيها، وهي ما أتناوله في المقال القادم بإذن الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

# الإعجاز العلمي

# في السُّنَّة النبويَّة

إعداد الشيخ/صلاح نجيب الدق

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَبَعْدُ؛

فإنَّ السُّنة النبوية الصحيحة هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية المباركة، والسُّنة بها الكثير من مظاهر الإعجاز العلمي، الذي يُؤدي إلى زيادة الإيمان بالله تعالى ويجعل المسلم يتمسك بسُنَّة نبينا صلى الله عليه وسلم، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

### المقصود بالإعجاز العلمي في السُّنة:

هو إخبار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن حقائق علمية لم تكن معروفة للبشرية قبل بَعثته صلى الله عليه وسلم ولم يكتشف العلم هذه الحقائق إلا في العصر الحديث. وهذا الإعجاز العلمي يعتبر دليلاً على أن نبينا صلى الله عليه وسلم رسولٌ من عند الله تعالى، وأن ما نطق به من حقائق علمية دليل واضح على صدق نبوته. وسوف نتحدث عن بعض مظاهر الإعجاز العلمي في السُّنَّة النبوية. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

## (١)
## الذباب
## يحمل الداء والدواء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً وَفِي الْآخَرِ دَاءً. (البخاري حديث ١٨١).

ترجع فكرة اللقاحات والأمصال إلى أن العلاج بذات السم هو خير وسيلة للنجاة منه، وقد أثبت الطب الحديث أن الذباب يحمل في أحد جناحيه سماً وفي الآخر شفاء له، ومن هنا فإن حديث الذبابة المأثور عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آية على الإعجاز العلمي للسنة الشريفة. (كشاف الإعجاز العلمي للدكتور / نبيل هارون ص٣٠).

## (٢) علاج مرض الكلب (الريبس)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْه وَسَلَّمَ: طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولَاهُنَّ بِالتُّرَابِ. (مسلم حديث: ٢٧٩).

جاء القرن العشرون بما يحمله من دراسات وبحوث وأدوات متقدمة تيسر البحث، وتظهر أموراً كان من الصعب على الناس أن يصلوا إليها في عصور سابقة دون هذه الأدوات المتقدمة المتطورة. من جملة ما أجرى من بحوث حول علاقة التراب بداء الكلب، فالكَلَبُ مرض من الأمراض التي تكون في لعاب الكلب، وتنتقل منه إلى الإنسان، وقد يكون الحيوان حاملاً لهذا الداء وإن لم تظهر عليه علامات الإصابة به، ومثله مثل أي حيوان أو أي حي ينقل جراثيم مرض دون أن يصاب بذلك المرض.

إن فيروس الكلب دقيق متناه في الصغر، وكلما صغر حجم الميكروب كلما ازدادت فعالية سطحه للتعلق بجدار الإناء والتصاقه به، ولعاب الكلب المحتوي على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابي سائل، ودور التراب هو إزالة الميكروب.

في بحث قام به أحد الأطباء الباكستانيين وجد أن داء الكلب، وجراثيمه مهما غسلت بالماء فإن الماء لا يذهب بها، فإذا مسحت بالتراب، فإن التراب يذهب بها ولا يُبقِ في الإناء أثراً لها، وكذا إذا كان الكلب يحمل جراثيم أمراض أخرى، وصدق رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فيما أخبر به، وأمر المسلمين أن يتخذوا وقاية لهم من الأمراض سبقاً علمياً لا مثيل له في عالم الطب الوقائي. (الإعجاز العلمي للدكتور / صالح أحمد رضا ج٢ ص٨٤١).

### (٣) العلاج بألبان وأبوال الإبل الصحراوية

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَرٌ مِنْ عُكْلٍ فَأَسْلَمُوا فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا فَفَعَلُوا فَصَحُّوا فَارْتَدُّوا وَقَتَلُوا رُعَاتَهَا وَاسْتَاقُوا الْإِبِلَ فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ فَأُتِيَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَحْسِمْهُمْ حَتَّى مَاتُوا. (البخاري حديث ٦٨٠٤ /مسلم حديث١٦٧١)

أثبت الطب الحديث علاج مرض الاستسقاء عن طريق تناول ألبان وأبوال الإبل الصحراوية: حيث إنه قد ثبت علمياً أن لبن الإبل يحتوي على كمية كبيرة من الكالسيوم مركزة فيه، كما أن هذه الإبل ترعى على النباتات الصحراوية كالشيح والقيصوم وفيها مواد نافعة تساعد على فتح الأوعية التي تساعد في تصريف السوائل المجتمعة في حالة الاستسقاء. (زاد المعاد لابن القيم ج٤ ص٤٨، الإعجاز العلمي في السنة للدكتور / صالح أحمد رضا ج٢ ص٨٣٣).

### (٤) النوم على الجنب الأيمن

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ فَقُلْتُ أَسْتَذْكِرُهُنَّ وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ قَالَ لَا وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. (البخاري حديث ٦٣١١، ومسلم حديث ٢٧١٠).

أثبت الطب الحديث أن الكبد أكبر من المعدة، وهي تقع في الطرف الأيمن فعندما ننام على الطرف الأيمن تستريح المعدة فوق الكبد، وأما العكس فتتأثر المعدة من ثقل الكبد وبخاصة في أول النوم، لأن النوم على الجانب الأيسر يضرب بالقلب ويعيق التنفس. (الإعجاز العلمي للدكتور/ صالح أحمد رضا ج١ص١٠٣).

### (٥) نفخ الروح في الجنين

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ رِزْقُهُ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ. (مسلم حديث ٢٦٤٥).

ولا أظن أحداً ممن عنده علم بأحوال الجنين إلا ويسجد لله اعترافاً وإقراراً بأن محمداً صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ رسول من عند الله تعالى حين يقرأ هذا الحديث الذي يحدد ثنتين وأربعين ليلة

ليبدأ بعدها تصوير الجنين، وخلق سمعه وبصره وعظامه؛ لأنه قد عرف من علم الأجنة اليوم بواسطة التصوير التليفزيوني والمراقبة الدقيقة أن أجهزة الجنين تبدأ في الظهور بعد الأسبوع السادس أي (٤٢ يوما) هذا وأما نفخ الروح في الجنين فإنما يكون بعد مائة وعشرين يوماً، أي بعد أربعة أشهر من الحمل، وهي المدة التي يظهر بعدها حركة الجنين في بطن أمه تشعر بذلك الأم، وغيرها. (الإعجاز العلمي للدكتور، صالح أحمد رضا ج١ ص٥٨).

عنْ عَبْد اللَّه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مثْلَ ذَلكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مثْلَ ذَلكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ. (البخاري حديث ٣٢٠٨، ومسلم حديث ٢٦٤٣).

### (٦) الختان من خصال الفطرة

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمعْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: الْفطْرَةُ خَمْسٌ: الْختَانُ وَالاسْتحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارب وَتَقْليمُ الأَظْفَارِ وَنَتْفُ الآبَاط. (البخاري حديث ٥٨٨٩، ومسلم حديث ٢٥٧).

الختان شعار للمسلمين، وفوائده الطبية كثيرة يعرفها أهل الطب ويكتشفونها يوماً بعد آخر، وقد عم في كثير من مستشفيات البلاد الأجنبية لما عرفوا من فوائده. (نشرت المجلة الطبية البريطانية مقالاً في عام ١٩٨٧) جاء فيه:

إن سرطان القضيب نادر جداً عند اليهود، وفي البلدان الإسلامية؛ حيث يجري الختان أثناء فترة الطفولة، وأثبتت الإحصائيات الطبية أن سرطان القضيب عند اليهود لم يشاهد إلا في تسعة مرضى فقط في العالم كله.

لقد بدأت عيون الغرب في العقدين الأخيرين تتفتح على هذه السنة المباركة، وبدأ بعضهم يجري الختان لنفسه طواعية بعد كبر سنه.

يقول: إن بقاء القلفة محيطة بالحشفة يكون بمثابة المستنقع الذي تنمو فيه أكثر العوامل المرضية، ويسقيها البول بنجاسته فتتكاثر وتنتعش. على مدار هذا الجيب مادة بيضاء مترسبة هي نتيجة بقايا الجراثيم والفطريات وإفرازات الغدد الدهنية والعرقية، وهي مادة ضارة بالإنسان. (الإعجاز العلمي للدكتور/ صالح أحمد رضا، ص٧٩: ص٨٣).

### (٧) عدد المفاصل في جسم الإنسان:

عن عَائشَةَ تَقُولُ: إنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: إنَّهُ خُلقَ كُلُّ إنْسَانٍ منْ بَني آدَمَ عَلَى ستِّينَ وَثَلاثِ مِائَةِ مَفْصلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ وَحَمدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ تلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلاثِ مِائَةِ السُّلامَى فَإِنَّهُ يَمْشي يَوْمَئذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنْ النَّارِ. (مسلم حديث ١٠٠٧).

ومفاصل جسم الإنسان على النحو التالي: (١٤٧) العمود الفقري، (٢٥) غضاريف بين الفقرات + ٧٢ بين الضلوع والفقرات + ٥٠ بين الفقرات عن طريق اللقيمات الجانبية. (٢٤) الصدر (٢ عظمة القص + بين القص والضلوع + ٢ بين الترقوة ولوحي الكتف + ٢ بين لوحي الكتف والصدر). (٤٣) الطرف العلوي (١ مفصل كتف + ٣ كوع + ٤ رسغ + ٣٥ عظام اليد). (٤٤) الطرف السفلي (١ مفصل فخد + ٣ ركبة + ٣ كاحل + ٣٧ عظام القدم). (١٣) الحوض (٢ عظام الورك + ٤ فقرات العصعص + ٦ عظيمات الحق + ١ الاتفاق العاني). (٢) الفك. المجموع الكلي (٣٦٠) مفصل).

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الإخبار الدقيق كل الدقة، وجاءت العلوم الحديثة لتقرر ما سبق أن قرره، وأخبر به، فبذلك كان الإعجاز العلمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم واضحا حين أعلمنا بمقدار المفاصل الموجودة في جسم الإنسان حين كان من المتعذر على أي إنسان أن يخبر بمثل ذلك.

(الإعجاز العلمي للدكتور. أحمد محمد رضا ج١ ص٦٩).

### (٨) إفطار الصائم على التمر والرطب

عن أنس بْن مَالك قال: كانَ رَسُولُ الله صلّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، يُفْطرُ عَلى رُطَبَات قَبْلَ أنْ يُصَلّيَ فإنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَعَلَى تَمَرَاتٍ فإنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ منْ مَاءٍ. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٠٦٥).

التمر والرطب من المواد المفيدة لجسم الإنسان وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يختارهما للصائم فذلك لحكم ومنافع في هذه المادة لعل منها: أن التمر يحتوي على نسبة عالية من سكر الفواكه (الفركتوز أو الليفيولوز)، وسكر الفواكه هذا له تأثير منشط للحركة الدودية للأمعاء، وبذلك فإنه يكافح الإمساك، فالتمر يساعد على تليين الأمعاء.

إضافة إلى هذا فإن التمور تحتوي على مواد سكرية سهلة الامتصاص بنسبة عالية، حوالي سبعين إلى ثمانين بالمائة والكيلو غرام الواحد من التمور يعطي طاقة حرارية عالية حوالي ثلاثة آلاف من السعرات، وهو القدر الذي يحتاجه الإنسان العادي من الطاقة الحرارية. والسكريات الموجودة في الرطب والتمور تمتص بسرعة فائقة وفي أقل من ساعة. كما تحتوي التمور على سكر القصب وهو ثنائي وهو سهل الهضم أيضاً فيتحول بواسطة خميرة (السكراز) الموجودة في العصارة المعوية إلى (سكر العنب وسكر الفواكه)؛ فيمتص من جدار الأمعاء الدقيقة إلى الدم ثم إلى الأنسجة ليولد الطاقة الحرارية المطلوبة للجسم بعد تمثيله وتحويله إلى ماء وثاني أكسيد الكربون؛ فلهذا كان التمر أنسب الأغذية للصائم أول ما يبدأ به لإمداده بالطاقة الحرارية ولسهولة هضمه على المعدة والأمعاء. (الإعجاز العلمي للدكتور/ صالح أحمد رضا ج١ ص٢٩١).

### (٩) الطفيليات

عَنْ مُعاذ بْن جَبَل قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلّى الله عَلَيْه وَسَلّمَ: اتَّقُوا المَلاعنَ الثَّلاثَةَ البرازَ في المَوَارد وقَارعَة الطَّريق والظّلّ. (صحيح أبي داود لألباني حديث ٢١).

من العجيب أن يرشدنا نبينا صلّى الله عليْه وسلّم، وقد عاش في بيئة لم تعرف ولم تكتشف الطفيليات وأخطارها ولا وسائل انتشارها والحد منها، إلى أفضل الإجراءات الوقائية التي عرفها الطب الوقائي الحديث بعد قرون طوال، وقد ثبت الآن أن الطفيليات كالبلهارسيا والانكلستوما والإسكارس والأنتروبيوس والأميبا وغيرها، إنما تفسد بالجفاف وبارتفاع درجة الحرارة، فتأمل حديثه صلّى الله عليْه وسلّم، وتأمل أيضاً ما أمرنا به وفصله لنا من ضرورة الاستنجاء بعد قضاء الحاجة. (كشاف الإعجاز العلمي للدكتور/ نبيل هارون ص٤٨).

### (١٠) الحجر الصحي

عَنْ أسَامَةَ بْنَ زَيْد قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: الطّاعُونُ رجْسٌ أرْسلَ عَلى طَائفَة منْ بَني إسْرَائيلَ أوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإذَا سَمعْتُمْ به بأرْض فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْه وإذَا وَقَعَ بأرْض وَأَنْتُمْ بهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فرارًا منْهُ قَالَ أبُو النَّضْر لا يُخْرجُكُمْ إلاّ فرارًا منْهُ. (البخاري حديث ٣٤٧٣، ومسلم حديث ٢٢١٨).

الحجر الصحي هو أحد أساليب الطب الوقائي الذي لم تعرفه البشرية إلا في القرن الماضي، بينته سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام منذ أكثر من أربعة شعر قرناً بوحي من العلي القدير. (كشاف الإعجاز العلمي للدكتور/ نبيل هارون ص٢٢).

### (١١) الكي

عَنْ ابْنِ عَبّاس عَنْ النَّبيّ صَلّى الله عَلَيْه وَسَلّمَ، قَالَ: الشّفَاءُ في ثَلاثَة: في شَرْطَة محْجَم أوْ شَرْبَة عَسَل أوْ كَيَّة بنَار وأنَا أنْهَى أمّتي عَنْ الكَيّ. (البخاري حديث ٥٦٨١)، لقد اتسع دور العلاج بالكي في الطب الحديث في علاج الأمراض الجلدية، سواء بالتسخين أو بالتيار الكهربائي، أو الكي بالتبريد بثلج ثاني أكسيد الكربون أو النتروجين السائل، أو الكي بالمواد الكيميائية كحمض الخليك المركز أو حمض السليسليك أو غيرهما، يعالج الكي الكثير من الأمراض الجلدية منها سرطانات الجلد. (كشاف الإعجاز العلمي للدكتور/ نبيل هارون ص٥٨).

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

# غزوة بدر

إعداد د/ سيد عبد العال

**الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:**

**فقد ذكرنا في العدد السابق ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى بدر، وانتهى حديثنا إلى موقف العباس رضي الله عنه.**

## فماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس رضي الله عنه؟

قد مرّ بنا قبل ذلك: أنَّ منْ بَيْنِ الأسْرَى العَبَّاسَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ-رضي اللَّه عنه؛ أسَرَهُ أبُو اليَسَرِ كَعْبُ بنُ عَمْرٍو الخَزْرَجِيُّ رضي اللَّه عنه؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ الَّذِي أسَرَ العَبَّاسَ أبُو اليَسَرِ بْنُ عَمْرٍو، وكَانَ أبُو اليَسَرِ رَجُلاً مَجْمُوعًا، وكَانَ العَبَّاسُ رَجُلاً جَسِيمًا؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « كَيْفَ أسَرْتَهُ يَا أبَا اليَسَرِ؟ « قَالَ: لَقَدْ أعَانَنِي عَلَيْهِ رَجُلٌ مَا رَأيْتُهُ بَعْدُ، وَلا قَبْلُ، هَيْئَتُهُ كَذَا، هَيْئَتُهُ كَذَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَقَدْ أعَانَكَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ « . أخرجه أحمد (٣٣١٠) وفي سنده مبهم وحسنه الأرناؤوط، وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات. المجمع (٦/ ١١٤).

ويشهد له ما أخرجه أحمد بسند صحيح عن علي رضي الله عنه وفيه: « فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ قَصِيرٌ بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ أسِيرًا، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّه، إنَّ هَذَا وَاللَّهِ مَا أسَرَنِي، لَقَدْ أسَرَنِي رَجُلٌ أجْلَحُ، مِنْ أحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أبْلَقَ، مَا أرَاهُ فِي القَوْمِ، فَقَالَ الأنْصَارِيُّ: أنَا أسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّه، فَقَالَ: « اسْكُتْ، فَقَدْ أيَّدَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ » مسند أحمد (٩٤٨) وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.

وكَانَ العَبَّاسُ رضي اللَّه عنه رَجُلاً طَوِيلاً؛ فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ أسِيرًا إلَى المَدِينَةِ طَلَبَتِ الأنْصَارُ ثَوْبًا يُلْبِسُونَهُ، فَلَمْ يَجِدُوا قَمِيصًا يَصْلُحُ لَهُ، إلاَّ قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ المُنَافِقِ، فكَسَاهُ إيَّاهُ؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أُتِيَ بِأسَارَى وَأُتِيَ بالعَبَّاسِ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ صلى اللَّه عليه وسلم لَهُ قَمِيصًا، فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ يَقْدُرُ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ صلى اللَّه عليه وسلم إيَّاهُ؛ فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ صلى اللَّه عليه وسلم قَمِيصَهُ الَّذِي ألْبَسَهُ. البخاري (٣٠٠٨).

قوله: «يَقْدُرُ عليه» بضم الدال المخفَّفة من قولهم: قدَّرتُ الثَّوبَ عليه قدرًا فانقدَر، أي: جاء على المِقْدار، وقد تُفتح وتشدَّد -يُقَدِّرُ- أي: لطُول لباسه، وكان طُوالاً كأنه فُسطاط، وكذلك أبوه عبد المطَّلِب، وأخوه عبد الله، وابنه عبد الله، وقد نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص عن بدنه فألبسه عبد الله بعد وفاته مكافأة على صنيعه. اللامع الصبيح (٩/ ٤٨).

وترجم عليه البخاري باب « كُسوة الأسارى» قال المهلب: وفيه كسوة الأسارى والإحسان إليهم، ولا يتركوا عراة؛ فتبدوا عوراتهم ولا يجوز النظر إلى عورات المشركين اهـ وهذا من محاسن الإسلام... وفيه: وجوب المكافأة على اليد تسدى إلى قريب الرجل إذا كان ذلك إكراما له في قريبه، ولم يطلبها القريب.

وفيه: أن المكافأة تكون في الحياة وبعد الممات. شرح ابن بطال (٥/ ١٦٦).

### مقدار فداء العبَّاس رضي الله عنه:

عَنْ ابْنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «يَا عَبَّاسُ، افْدِ نَفْسَكَ، وَابْنَ أَخِيكَ عَقِيلَ بنَ أبِي طَالِبٍ، وَنَوْفَلَ بنَ الحَارِثِ، وحَلِيفَكَ عُتْبَةَ بنَ جَحْدَمٍ»؛ فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّه، إنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا، ولَكِنَّ القَوْمَ اسْتَكْرَهُونِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «اللَّهُ أعْلَمُ بِإسْلامِكَ، إنْ يَكُ ما تَدَّعِي حقًّا، فاللَّهُ يَجْزِيكَ بذَلكَ، وأمَّا ظَاهِرُ أمْرِكَ، فَقَدْ كانَ عَلَيْنَا؛ فافْدِ نَفْسَكَ.....؛ فقَالَ العبَّاسُ: فإنَّهُ لَيْسَ لي مَالٌ، فقَالَ صلى اللَّه عليه وسلم: «فأيْنَ المَالُ الذي وَضَعْتَهُ بمَكَّةَ، حَيْثُ خَرَجْتَ، عِنْدَ أُمِّ الفَضْلِ بنْت الحَارث، ولَيْسَ مَعَكُمَا أحَدٌ غَيْرُكُمَا؟، فَقُلْتَ: إنْ أُصِبْتُ في سَفَرِي هَذَا، فَلِلْفَضْلِ كَذَا، ولِقُثَمِ كَذا، ولِعَبْد اللَّه كَذا»، فَقَالَ العَبَّاسُ: وَالذي بعَثكَ بِالحَقِّ، ما علم بِهَذا أحَدٌ منَ النَّاسِ غَيْرِي وَغَيْرُها، وإنِّي لأَعْلَمُ أنَّكَ رَسُولُ اللَّه. مسند أحمد (٣٣١٠) وحسنه الأرناؤوط.

وعَنِ ابْنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما «كانَ فِدَاءُ كُلِّ وَاحِدٍ أرْبعينَ أُوقِيَّةً فَجعَلَ على العَبَّاس مائَةَ أُوقِيَّةً وَعَلَى عقيلٍ ثمانينَ فقال لَهُ العَبَّاسُ أَلِلْقَرابَةِ صَنَعْتَ هَذا! قال فأنْزَل الله تعالى يا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ في أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرى إنْ يَعْلَمِ اللَّهُ في قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ...الخ الآية: فَقَالَ العَبَّاسُ وَدِدْتُ لَوْ كُنْتَ أَخَذْتَ مِنِّي أَضْعَافَهَا لِقَوْلِه تَعَالَى يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُم» أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٤١٠) وقال ابن حجر: بإسناد حسن. الفتح (٧/٣٢٢).

### موقف الأنصار من العبَّاس رضي الله عنه:

وكَانَ رِجَالٌ مِنَ الأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أَنْ يَتْرُكَ فداءَ العَبَّاسِ رضي اللَّه عنه، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ، فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ في صَحِيحه عن أنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رِجَالاً مِنَ الأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ائْذَنْ لَنَا، فَلْنَتْرُكْ لابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ، فَقَالَ: «لا تَدَعُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا» البخاري (٢٥٣٧).

وفيه فوائد:

١- قول الأنصار: أرادوا بذلك أمرين:

أحدهما: إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والثاني: لقرابة العباس منهم: فإن هاشما كان قد تزوج امرأة من بني النجار فولدت له عبد المطلب، فلذلك قالوا: ابن أختنا، وإنما قالوا: ابن أختنا لتكون المنة عليهم في إطلاقه، ولو قالوا: «عمك»، لكان منة عليه، وهذا من قوة الذكاء، وحسن الأدب في الخطاب.

٢- لم يأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لئلا يكون في الدين نوع محاباة، فأخذ الفداء من العباس، وكلفه أن يفدي ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث.

٣- وكان العباس ذا مال؛ فاستُوفيت منه الفدية، وصُرفت في مصرفها من حقوق الغانمين.

٤- وفي تَرْك قبُولِ ما يَتَبَرَّعُ لَهُ الأنصارُ بِهِ مِنَ الفِداءِ تأديبٌ لِمَنْ يَقَعُ له مِثْلُ ذلكَ.

(كشف المشكل لابن الجوزي (٣/ ٢٧٧)، والإفصاح (٥/ ٢٧٤)، وأعلام الحديث(٢/ ١٢٦٩)، وفتح الباري ٧/ ٣٢٣).

### مكانة العباس رضي الله عنه

لقد كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يُجِلُّ عَمَّهُ العَبَّاسَ رضي اللَّه عنه؛ فعَنْ سَعْد بنِ أبي وَقَّاصٍ رضي اللَّه عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «هَذَا العَبَّاسُ عَمُّ نَبِيِّكُمْ، أَجْوَدُ قُرَيْشٍ كفًّا، وَأَوْصَلُهَا». حديث حسن أخرجه

أحمد (١٦١٠).

وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجل العباس إجلال الولد والده خاصة خص الله العباس بها من بين الناس» المستدرك (٥٥٠٦) وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبي: صحيح. التلخيص (٥٤١٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العباس مني وأنا منه المستدرك (٥٥٠٧) وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبي: صحيح. التلخيص (٥٤١١).

وعن أبي رافع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا الفضل لك من الله حتى ترضى» المستدرك (٥٥٠٨) وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبي في التلخيص(٥٤١٢): صحيح.

## وقفة مع آية:

عن عائشة رضي الله عنها قالت «... وأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ». فقَالَ الْعَبَّاسُ رضي اللَّه عنه لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: أَعْطَانِي اللَّهُ مَكَانَ الْعِشْرِينَ أُوقِيَّةً فِي الْإِسْلَامِ عِشْرِينَ عَبْدًا، كُلُّهُمْ فِي يَدِهِ مَالٌ يَضْرِبُ بِهِ، مَعَ مَا أَرْجُو مِنْ مَغْفِرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٥٠٥) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

ومما عوض الله به العباس رضي الله عنه ما جاء في حديث أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي اللَّه عنه قال: أُتِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ فقَالَ صلى اللَّه عليه وسلم: «انْثُرُوهُ فِي المَسْجِدِ»، وكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم إلى الصَّلَاةِ، ولَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ: جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ: إِذْ جَاءَهُ العَبَّاسُ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي: فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وفَادَيْتُ عَقِيلًا: فقَالَ لَهُ صلى اللَّه عليه وسلم: «خُذْ»، فَحَثَا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ- أي: يحمله- فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فقَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ أُؤْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «لَا»، فَنَثَرَ مِنْهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه أُؤْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ، قَالَ: «لَا» قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «لَا»، فَنَثَرَ مِنْهُ، ثُمَّ احْتَمَلَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى كَاهِلِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ- حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا- عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ، فَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ. صحيح البخاري (٤٢١).

ومن فوائد الحديث فوق ما عوض الله به العباس رضي الله عنه

١- بَيَانُ كَرَمِ النَّبِيِّ صلى اللَّه عليه وسلم، وَعَدَمُ الْتِفَاتِهِ إِلَى المَالِ قَلَّ أَوْ كَثُرَ.

٢ - وَفِيهِ: أَنَّ الْإِمَامَ يَنْبَغِي له أَنْ يُفَرِّقَ مَالَ المَصَالِحِ فِي مُسْتَحِقِّيهَا وَلَا يُؤَخِّرَهُ. فتح الباري (١/ ٥١٧).

## ذِكْرُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَسْرَى بدر بعد ذلك

وَقَدْ أَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الأَسْرَى عَلَى فَتَرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ- وهذا مما يبين بركة ما أشار به أبو بكر رضي الله عنه على الوجه الذي مضى في العدد السابق - ومنهم: الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وعَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ونَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وأَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ، وأَبُو عَزِيزِ بْنُ عُمَيْرٍ الْعَبْدَرِيُّ، والسَّائِبُ بْنُ أَبِي حُبَيْشٍ، وخَالِدُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ، وعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي السَّائِبِ، والْمُطَّلِبُ بْنُ حَنْطَبٍ، وأَبُو وَدَاعَةَ السَّهْمِيُّ، وعبد الله بن أبي بن خَلَفٍ الْجُمَحِيُّ، وَهْبُ بْنُ عُمَيْرٍ الْجُمَحِيُّ، وسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الْعَامِرِيُّ، وعَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ، وقَيْسُ بْنُ السَّائِبِ الْمَخْزُومِيُّ، ونِسْطَاسُ مَوْلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ. عيون الأثر (١/ ٣٣٣).

## فضل مَنْ شهد بدرا

عن رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صلى اللَّه عليه وسلم فقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ....» البخاري (٣٩٩٢).

وهذا الحديث يجرنا إلى ذكر فضيلة أهل بدر، وبيان مكانتهم بين الصحابة، وهذا ما نبدأ به العدد القادم إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

# رحلة تاريخية مع اتفاقية سيداو

# C.E.A.D.A.W

# CEDAW

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدفهذه مقالات تتناول اتفاقية سيداو، حقيقتها، وشروطها، ومقتضياتها وآثارها على العالم الإسلامي. وقد تحدثنا في اللقاء السابق عن عرض تاريخي لا تفاقية سيداو، ونعرض فيما يأتي لجانب من نصوص هذه الاتفاقية وآثارها على المجتمعات الإسلامية؛ فنقول وبالله تعالى التوفيق**

إعداد **د. أيمن خليل**

تتكون اتفاقية السيداو من ديباجة، ومن ثلاثين مادة، موزعة في ستة أجزاء، وتوضح الديباجة أن غرض الاتفاقية تحقيق أمرين هما: القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وتحقيق المساواة الكاملة في الحقوق بين الرجل والمرأة.

ولأن المقام لا يتسع لعرض هذه النصوص كاملة؛ فإننا نعرض في عجالة للمواد التي تضمنت أخطر الالتزامات على الدولة الموقعة على هذه الاتفاقية، ومن ذلك المادة المادة الأولى والتي عرفت التمييز ضد المرأة بأنه: أي تفرقة أو استبعاد أو تقييد يتم على أساس الجنس، أو تنال من الاعتراف للمرأة بمساواتها للرجل في حقوق الإنسان والحريات الأساسية في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية أو في أيّ ميدان آخر، أو إبطال الاعتراف للمرأة بهذه الحقوق أو تمتعها بها وممارستها لها بغض النظر عن حالتها الزوجية.

فهذه المادة بعدما عرَفت مفهوم التمييز، والذي يتعلق بالتفرقة بين المرأة والرجل في حقوق الإنسان والحريات الأساسية في كافة الميادين التي عدَّدتها كالسياسة والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية، تنتقل الاتفاقية في ترسيخ لقيمها الإباحية إلى التأكيد على حق المرأة في التمتع بهذه الحقوق وممارستها لها بغض النظر عن حالتها

الزوجية..

ويتم إقحام هذه العبارة في هذه المادة، ليتأكد المفهوم الاباحي غير الأخلاقي لهذه الاتفاقية، والتي حرصت من أول مادة في هذه الاتفاقية -وفي إجراء استباقي- على تأكيد أن الحقوق التي عددتها هذه المادة، والتي ستأتي في المواد التالية تتمتع المرأة بها بغض النظر عن حالتها الزوجية، كما أن الاتفاقية تؤكد على ما ترسَخه في المواد التالية من حق المرأة الكامل في التمتع بجسدها على النحو الذي ترتأيه دون أن تتقيد بأن تكون هذه الممارسة من خلال الإطار المشروع وهو الأسرة.

فلم تقتصر هذه الاتفاقية على مجرد تعريف التمييز، وإنما نصت على الالتزامات التي تقع على عاتق الدول أن تقوم بتنفيذها، والتي تتمثل في ثلاثة التزامات رئيسة؛ وهي: الاحترام والحماية والايفاء.

فالاحترام يُقصد به امتناع الدولة عن التدخل بشكل مباشر أو غير مباشر في تمتع المرأة بحقوقها، وأما الحماية فيُقصد بها اتخاذ الدولة للتدابير اللازمة لمنع الغير من التدخل في تمتع المرأة بحقوقها. وأما الايفاء، فيُقصد به تدخل الدولة من خلال التدابير التشريعية والإدارية والقضائية، فضلاً عن الإعلام للوصول إلى تحقيق تمتع المرأة الكامل بحقوقها.

ويلاحظ هاهنا التناقض بين موقف الاتفاقية -الذي يُجسَد الليبرالية الجديدة- في حرصها على تهميش دور الدولة واقصائها عن الاقتصاد وعن التعليم وعن الرعاية الطبية، وعن واجباتها الاجتماعية من دعم محدودي الدخل؛ لمطالبة الدولة بالتدخل بكل قوة وبكافة الوسائل بما فيها سنّ القوانين لتحقيق أهداف الاتفاقية.

أما المادة الثانية فنصت على أن: "تشجب الدول الأطراف جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وتوافق على أن تنتهج بكل الوسائل المناسبة ودون إبطاء، سياسة القضاء على التمييز ضد المرأة".

وافتتحت المادة الثانية من الاتفاقية بشجب الدول الأطراف لكل أشكال التمييز ضد المرأة، وكأن التمييز ضد المرأة يأتي من قوى خارجية، والغرض من ذلك هو تحقيق جانب الإرهاب لكافة لدول التي لم تنضمَ إلى هذه الاتفاقية، أو تلك التتي تتقاعس عن تحقيق المساواة الفعلية.

وتحقيقًا لذلك تتضمنت هذه المادة سبعة بنود تضمنت التزام الدول الموقعة على الاتفاقية بالقيام بتجسيد مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في دساتيرها الوطنية، أو تشريعاتها المناسبة الأخرى، وكفالة التحقيق العملي لهذا المبدأ من خلال مختلف القوانين، ففرض هذا البند على الدول العمل على مستويين: الأول: مستوى الدساتير، وهو القانون الأعلى، والمحدد للمعالم الأساسية لها، الثاني: مستوى القوانين التفصيلية أو التشريعات.

فهذه الاتفاقية تتدخل في إطار سيادة الدولة، وتبين ما يحدده دستورها من معالم شتى تنبني على أساسها قوانينها، وأخطر ما في هذا الأمر إبطال كل الأحكام واللوائح والأعراف التي تميز بين الرجل والمرأة في قوانينها؛ لعدم دستوريتها مثل التفرقة بين ميراث الابن والابنة، كما توجب على الدول الموقعة مراجعة واستبدال قوانينها التي تشتمل على أي تمييز ضد المرأة (بمفهومه الغربي).

ويترتب على ذلك بدعوى مساواة المرأة في الحقوق القانونية على سبيل المثال: إبطال منع المسلمة من الزواج بغير المسلم بالمخالفة لقول الله عز وجل: «وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟» (سورة البقرة الآية٢٢١)، والغاء تعدد الزوجات وهو مباح بقوله تعالى: «فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً» (سورة النساء الآية٣)، والغاء العدة الشرعية للمرأة في حالتي الطلاق ووفاة الزوج لتتساوى بالرجل الذي لا يعتد للطلاق أو لوفاة زوجته، وهو مخالف لقوله تعالى: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ» (سورة الطلاق الآية١)، وقوله تعالى: «وَٱلَّذِينَ

يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » (سورة البقرة الآية٢٣٤)، والغاء مبدأ الولاية على المرأة لتتساوى مع الرجل رغم أن هذا مخالفٌ لما قررته السنة النبوية من إثبات الولاية على المرأة التي لم يسبق لها الزواج؛ لحديث أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا نكاح إلا بولي". رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، كما تصبح شهادة المرأة في القضايا المالية كشهادة الرجل، ومنح المرأة نفس حق الرجل في التنقل وحرية اختيار محل السكن والإقامة.

فقد جاء في تفسير الأمم المتحدة للاتفاقية بأن القانون الذي يجعل مسكن المرأة الدائم متوقفاً على مسكن زوجها يعتبر قانوناً تمييزيًا بموجب هذا النص، كما هو حال القانون الذي يقيّد حق المرأة بما في ذلك المتزوجة في اختيار المكان الذي تعيش فيه، ومن ثمَّ لا يجوز إلزام المرأة بالاحتباس لزوجها، كما لا يجوز إلزام الفتاة بالبقاء في بيت والدها، كما لا يجوز اشتراط المحرم في السفر للمرأة؛ وذلك مصادم لديننا لحديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة ليلة إلا معها رجل ذو حرمة منها" واللفظ لمسلم. ويحق لها السفر بغير إذن الزوج؛ وبالفعل قد صدر حكم محكمة القضاء الإداري عام ٢٠١٠م، والذي أباح سفر المرأة دون إذن زوجها. والمولى سبحانه وتعالى يقول في سورة النساء: « فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله »، ومعنى حافظات للغيب أنها تحفظ زوجها في غيبته فكيف تسافر بدون إذنه؟! وفضلاً عما سبق فإنه يكون للمرأة الحق في الزواج بغير إذن وليها، ولها الحق في فسخ عقد النكاح كما للزوج إيقاع الطلاق، ولها نفس الحقوق في الولاية والقوامة والوصاية على الأولاد.

وبالجملة يتم إلغاء مبدأ قوامة الرجل على المرأة، وهي المقررة بقوله تعالى: « ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ » (سورة النساء الآية٣٤).

أما البند الثاني فتضمن النص على توقيع العقوبات الرادعة بموجب سن القوانين اللازمة لحظر كل تمييز ضد المرأة؛ فبعدما نصت على اتخاذ المناسب من التدابير التشريعية، أضافت: بما في ذلك ما يقتضيه الأمر من جزاءات لبيان أنه يجب سنَ القوانين المشتملة على العقوبات الرادعة الكفيلة بحظر كل تمييز ضد المرأة. ويعمل هذا البند على مستويين: الأول: المستوى الإيجابي، وهو التدخل بفرض تدابير تشريعية، ووضع جزاءات (عقوبات) لمرتكبي فعل التمييز (من منظور الاتفاقية). والثاني: المستوى السلبي، وهو تعهُّد الدول بالامتناع عن أيّ عمل أو ممارسة تعدّها الاتفاقية تمييزًا، وكفالة تصرُّف السلطات والمؤسسات العامة بما يتفق وهذا الالتزام. وهو ما يؤكّد أن لفظ التمييز هو مصطلح قانوني فرضت له الاتفاقية رؤية خاصة، وله تداعياته وآثاره القانونية المترتبة على اقتراف فعل (التمييز).

أما البند الثالث فتضمن إقرار الحماية القانونية لحقوق المرأة على قدم المساواة مع الرجل، وضمان الحماية الفعالة للمرأة -عن طريق المحاكم الوطنية ذات الاختصاص، والمؤسسات العامة الأخرى- من أي عمل تمييزي. ولذلك أُنشئت محاكم الأسرة خصيصًا لهذا الغرض، بل وأنشئت شرطة (سيداو) تضمنت العناصر النسائية المُدرّبة لهذا الغرض، وإن كانت قد وجدت تحت مسمى منع التحرش. ويستهدف هذا البند تقنين الاتفاقية، وتثبيت مفاهيمها داخل الأنظمة القانونية للدول، وذلك عبر عمل المحاكم الوطنية؛ حيث يخلق عمل المحاكم الوطنية شبه اليومي وقائع لا حصر لها تكرّس مفهوم التماثل، وتخلق له -كذلك- سوابق قانونية تطبيقية.

ومن بين البنود السبعة في المادة الثانية من الاتفاقية، نجد البندين (السادس) و (السابع) يدعوان إلى اتخاذ جميع التدابير، بما في ذلك التشريع لإبطال كافة الأحكام واللوائح والأعراف التي تميز بين الرجل والمرأة

في قوانينها واستبدالها بقوانين تؤكد القضاء على هذه الممارسات، سواء أكانت صادرة عن أشخاص أو ناتجة عن تقاليد أو أعراف.

وبذلك فإن هذه المادة تخوّل لاتفاقيات الأمم المتحدة حقّ إلغاء التشريعات الوطنية، وفي ذلك مساس بسيادة الدول، ولم يراعَ فيها اختلاف الثقافات والأديان في العالم؛ إذ تطالب هذه المادة الدول بإبطال قوانينها وأعرافها وتقاليدها دون استثناء حتى تلك التي تقوم على أساس ديني.

ومكمن الخطورة هو أنه إذا ما وضعنا في الاعتبار أن الاتفاقية لا ترمي إلى المساواة المطلقة في التعليم والعمل والمجالات العامة فقط، بل تمتد لتشمل قوانين الأسرة أيضاً.

فإنه بمقتضى هذه المادة تصبح جميع أحكام الشريعة المتعلقة بالمرأة لاغية وباطلة ولا يصح الرجوع إليها أو التعويل عليها، ويبدو أن الأمر كما لو نسختها هذه الاتفاقية الدولية، رغم أن قوانين الأسرة في الإسلام ليست من وضع البشر، بل هي من وضع رب العزة سبحانه وتعالى.

وبذلك نجحت هذه الاتفاقية في فرض ثقافة العولمة، وإقصاء الأديان والأعراف والتقاليد واعتبار الاتفاقية المرجع الوحيد للدول في قضايا المرأة، ورفض الاختلاف التشريعي والقانوني لكثير من الدول. مع أن هذا الالزام يتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة نفسه الذي ينص على احترام التنوع الثقافي والديني للشعوب. وسنعرض لنماذج نجحت فيها هذه الاتفاقية في تعديل القوانين في بعض البلاد الإسلامية.

### دور اتفاقية السيداو في تعديل التشريعات الوطنية:

أثيرت قضايا المرأة، وتجددت حولها النقاشات التي عبرت عن وجهات نظر متعارضة في مصر، وذلك بسبب مشروع القانون الجديد للأحوال الشخصية الذي عُرض على البرلمان المصري في ديسمبر ١٩٩٩م، وتركزت هذه النقاشات في ثلاث قضايا؛ أولهما: قضية الخُلع (إعطاء المرأة الحق في فسخ عقد النكاح)، وهذه تم إقرارها، وثانيهما: السماح للزوجة بالسفر من دون الحصول على إذن الزوج، وذلك في حالة حصولها على ترخيص بذلك من المحكمة، وهذه تأجل البتّ فيها، إلى أن قضت المحكمة الدستورية العليا في ديسمبر ٢٠٠٠م بعدم دستورية شرط موافقة الزوج على سفر زوجته إلى الخارج، أما الثالثة والأخيرة فهي: الاعتراف بالطلاق رسميًا في حالات الزواج العرفي (رغم الدعوى إلى إهدار الطلاق اللفظي).

كما أثيرت القضايا المتعلقة بالمرأة في إطار اتفاقية سيداو في المغرب؛ حيث أعلنت الحكومة المغربية في مارس ١٩٩٩م برنامجاً أطلقت عليه "إدماج المرأة في التنمية"، وضعته الوزارة المكلفة بالرعاية الاجتماعية وشؤون الأسرة، بمشاركة خبراء وباحثين ومندوبين عن الأمم المتحدة والبنك الدولي، وصرح وزير الرعاية الاجتماعية آنذاك أن ذلك جاء استجابة مغربية لمعاهدة بكين سنة ١٩٩٥م!!

وإذا بإدماج المرأة في التنمية يتضمن إلغاء تعدد الزوجات، وزيادة السن القانونية لزواج المرأة بالمغرب من ١٤ إلى ١٨ عاماً، فضلاً عن اقتراح بحصول المرأة على نصف ثروة الزوج عند الطلاق أو الوفاة، وإلغاء إيقاع الطلاق من الزوج وجعله بيد القاضي.

ولكن لوقفة علماء الدين الحاسمة بالمغرب وللتظاهرات الحاشدة التي قامت بها التيارات الإسلامية في الدار البيضاء؛ أقالت الحكومة المغربية الوزير المكلف بوضع تلك الخطة، وانتهى الأمر إلى حين.

أما في لبنان التي تعصف بها الانقسامات الطائفية والمذهبية فقد تسبب اتفاقية سيداو في أزمة عاصفة؛ حيث تمت الدعوة إلى إصدار قانون مدني اختياري للأحوال الشخصية يصبح بموجبه الزواج مدنيًا؛ حيث يُباح الزواج من الطوائف المختلفة (فيحق للمسلمة التزوج بغير المسلم)، ويحق لغير المسلم الزواج دون حاجة إلى كنيسته، وهو القانون الذي رفضه المسلمون وغيرهم على السواء.

وللحديث تتمة بإذن الله تعالى. والحمد لله رب العالمين.

# عمل لا ينقطع ثوابه

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع

**الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده صلى الله عليه وآله وسلم؛ أما بعد: فإن خير ما عُمرت به الأوقات، وصُرفت فيه الأنفس: الاشتغال بالعلم الشرعي، ومدارسة الكتاب والسنة، فإن في ذلك أنس النفوس وراحة القلوب وطمأنينة البال، وبه يعرف الحق من الباطل، والحلال من الحرام، والهدى من الضلال، وبه يسير المرء إلى الله على بصيرة بخطى ثابتة وقلب مطمئن، فبالعلم تحيا القلوب وبالجهل تموت.**

لما رأيت أن الكثير منا في هذا الزمان قد زهدوا في طلب العلم، والرحلة إلى العلماء لتحصيله. أردت أن أذكر نفسي وكل من «كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» (ق: ٣٧): ببعض فضائل العلم:

**أولا:** استشهد الله بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده. قال الله عز وجل: «شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» (آل عمران: ١٨).

**ثانيًا:** أن الله أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يستشهد بأهل العلم على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: «وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ» (الرعد: ٤٣).

**ثالثًا:** العلم يهدي إلى الإيمان.

قال الله تعالى: «وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ» (الحج: ٥٤).

**رابعًا:** العلم يهدي إلى الحق:

قال الله تعالى: «وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ» (سبأ: ٦).

**خامسًا:** العلم يرفع الله به الدرجات:

قال الله تعالى: «يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ» (المجادلة: ١١).

**سادسًا:** نفى الله التسوية بين أهل العلم وغيرهم من الناس:

قال الله تعالى: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ» (الزمر: ٩).

**سابعًا:** شهادة الله عز وجل لأهل العلم بالخشية له سبحانه:

قال الله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟» (فاطر: ٢٨).

**ثامنًا:** أهل العلم أكثر الناس معرفة للحق وإيمانًا به:

قال الله تعالى: «وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ

كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ». (آل عمران: ٧ ).

**تاسعًا:** أهل العلم أعرف الناس بالخير والشر:

قال الله تعالى عن قارون: « فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ». (القصص: ٧٩- ٨٠ ).

**عاشرًا:** استشهد الله سبحانه وتعالى بأهل العلم على البعث:

قال الله تعالى: « وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ». (الروم: ٥٥- ٥٦ ).

**الحادي عشر:** طلب العلم جهاد في سبيل الله:

قال الله تعالى: « لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ». (التوبة: ١٢٢ ).

**الثاني عشر:** أمر الله الناس بالرجوع لأهل العلم فيما أشكل عليهم:

قال الله تعالى: « فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ». (النحل: ٤٣ ).

وقال تعالى: « وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا » (النساء: ٨٣ ). قال أبو العالية في معنى: «أولي الأمر» في الآية: هم أهل العلم، ألا ترى أنه يقول: «وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسُول وإلى أولِي الأَمْر منْهُمْ لعَلمَهُ الَّذينَ يَسْتَنبطونَه منْهُمْ».

**الثالث عشر:** هو تركة الأنبياء وتراثهم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر». (صحيح الجامع (٦٢٩٧). معنى: (الحظ): النصيب، والمعنى: أخذ نصيبًا تامًا لا حظ أوفر منه ).

**الرابع عشر:** ثواب العلم دائم لا ينقطع:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». (مسلم: ١٦٣١ ). ولله در من قال: «علم الرجل ولده المخلد».

**الخامس عشر:** من أراد الله به خيرًا يفقهه في الدين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». متفق عليه.

**السادس عشر:** طلب العلم طريق إلى الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة». (مسلم: ٢٦٩٩ ).

**السابع عشر:** الملائكة تضع أجنحتها رضًا لطالب العلم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضًا بما يصنع حتى يرجع». (صحيح الجامع: ٥٧٠٢ ).

**الثامن عشر:** دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لطالب العلم بالنضرة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نضَّر الله امرأ سمع منا حديثًا، فحفظه حتى يبلغه، فرُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورُبّ حامل فقه ليس بفقيه». (صحيح الجامع ٦٧٦٦ ).

وفي الحديث دعوة مباركة ميمونة، خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع حديثه ووعاه وبلغه كما سمعه، ولو لم يكن من فضل العلم وبيان شرفه إلا هذا الحديث وحده لكفى به شرفًا، فإن هذه الدعوة النبوية الكريمة المباركة متضمنة لجمال الظاهر والباطن، فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان، وابتهاج الباطن به وفرح القلب وسروره، فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه، ولهذا يجمع له سبحانه وتعالى بين البهجة والسرور والنضرة كما في قوله

تعالى: «فَوَقَاهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا» (الإنسان: ١١). فالنضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم، ثم ما يتلقون من نعيم وثواب على ذلك يظهر نضارة على وجوههم، كما قال تعالى: «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ» (المطففين: ٢٤). ولا ريب أن هذه الدعوة المباركة لمن حمل السنة وبلغها للأمة بالنضرة والرحمة، تحمل البشارة لمن وقف نفسه ووفر جهده في خدمة السنة وابلاغها، وفي هذا حضز للهمم واذكاء للعزائم وحمل للنفوس على الجد والمثابرة والصبر والمصابرة وبذل الوسع في تحقيق ذلك). (مفتاح دار السعادة ١/٧١).

**التاسع عشر:** فضل العالم على العابد:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب». (صحيح الجامع: ٦٢٩٧).

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله: (والسر في ذلك والله أعلم: أن الكوكب ضوءه لا يعدو نفسه، وأما القمر ليلة البدر فإن نوره يشرق على أهل الأرض جميعًا فيعمهم نوره، فيستضيئون بنوره ويهتدون به في سيرهم).

**العشرون:** العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء». (صحيح الجامع: ٦٢٩٧).

**الحادي والعشرون:** طالب العلم تغشاه الرحمة وتحفه الملائكة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». (مسلم: ٢٦٩٩).

**الثاني والعشرون:** الاستثناء من اللعن:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالمًا، أو متعلمًا». (صحيح الجامع: ٣٤١٤).

**الثالث والعشرون:** أداء فريضة إلهية:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم». (صحيح الجامع (٣٩١٣)).

**الرابع والعشرون:** محبة الملائكة للعلم:

عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد متكئ على بُرْد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال: «مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة وتظله بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب». (صحيح الترغيب: ٧١).

**الخامس والعشرون:** أجر حاج تامًا حجته:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلمه، كان له كأجر حاج، تامًا حجته». (صحيح الترغيب ٨٦).

**السادس والعشرون:** طالب العلم لا يشبع من طلبه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا». (صحيح الجامع (٦٦٢٤). والمعنى (منهومان): بلوغ الهمة في الشيء.

**السابع والعشرون:** العلم هنيئًا لأهله:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا المنذر؟ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟». قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر: أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: «اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ». قال: فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر». (مسلم: (٨١٠). معنى قوله: ليهنك العلم: أي ليكن العلم هنيئًا لك.

**الثامن والعشرون:** أن أكون بأمان من النفاق:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خصلتان لا يجتمعان في منافق: حُسْنُ سَمْتٍ، ولا فقه في الدين». (صحيح الجامع: ٣٢٢٩).

**التاسع والعشرون:** أكون من خير الناس إسلامًا:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم إسلامًا أحاسنكم أخلاقًا إذا فقهوا». (صحيح الأدب المفرد: ٢١٨). في الحديث بيان أثر الفقه في تحسين الأخلاق ورفع المنزلة، حتى يكون من خير الناس؛ لأن الفقه يبلغ الورع والتقوى وحسن الخلق، فالعالم الصادق يكسره علمه فيزداد تواضعًا.

**الثلاثون:** أهل العلم لا يشقى بهم جليسهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله: ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس، يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجاتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك»، وفي نهاية الحديث»، فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». (مختصر مسلم: ١٨٩٠).

**الحادي والثلاثون:** إن العلم نعمة من الله تستوجب الشكر:

قال الله عز وجل: «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ» (النمل: ١٥).

قال الطبري رحمه الله: «يقول جل ثناؤه: وقال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتاناه، دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا». (تفسير الطبري: ١٩/ ٤٣٧).

تلك بعض ثمرات العلم، فإن قال قائل: كيف أظفر بها؟

قلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما العلم بالتعلم، وانما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه». (صحيح الجامع: ٢٣٢٨).

والآن أسمح لي أن أتركك مع أبي هريرة رضي الله عنه لتتعرف كيف وصل إلى ما هو عليه من العلم، يعد أبو هريرة رضي الله عنه أكثر من روى الحديث من الصحابة بالإجماع، فقد روى خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا. كما جزم به ابن حزم في جوامع السيرة (ص٢٧٥).

فكيف حصل هذه الأحاديث؟ أتركك معه رضي الله عنه ليخبرنا هو بنفسه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يقولون: أن أبا هريرة قد أكثر، والله الموعد، ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه؟ وسأخبركم عن ذلك: إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيهم، وان إخواني المهاجرين كان يشغلهم الصفق: (والصفق-بإسكان الفاء- هو ضرب اليد على اليد، وجرت به عادتهم عند عقد البيع) بالأسواق. وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا: «أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئًا سمعه». فبسط بردة علي حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئًا حدثني به. ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئًا أبدًا: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ» (البقرة: ١٥٩- ١٦٠). (البخاري (٢٠٤٧)، ومسلم (٢٤٩٢)).اهـ.

اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملاً متقبلاً.

أقول مذكرًا يحسن بالمسلم أن يحافظ على هذا الدعاء بعد التسليم من صلاة الصبح كل يوم تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم.

# الحركة النسوية الغربية وآثارها على العالم الإسلامي المعاصر

إعداد أ.د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن مصيبة العالم الإسلامي اليوم تكمن فيما تثيره الحركات النسوية العربية الملتقفة للأفكار النسوية الغربية من افتعال قضايا اجتماعية تهدف إلى تدمير المرأة والأسرة والمجتمع تحت مسمى «حقوق المرأة»، وهي كلمة حق يُراد بها كل انحلال وفساد وخلل عقائدي وأخلاقي واجتماعي.

بينما أرست رسالة الإسلام الخالدة دعائم راسخة ومبادئ قيمة وأحكام راشدة للحفاظ على حقوق المرأة والأسرة كلها في توازن محكم وحكيم وتكامل ممزوج بالربانية والواقعية والشمول، انطلاقًا من النظرة الكلية للكون والحياة والإنسان، تلك تسقط الدعاوى الزائفة حتى لا تقف البشرية على حافة الهاوية جراء إفلاسها في عالم القيم مسجَلة التاريخ الأسود لهؤلاء المتشدقين بحقوق المرأة.. فأين كانت منزلتها عندهم؟ وأين هذه الحقوق وما قيمتها عندما كانت المرأة في عهد اليونان تُباع وتشترى محجورًا عليها لطيشها؟!. بل عقد فلاسفة الغرب مؤتمرًا دوليًا في عام ١٥٦٨م يناقشون فيه هل المرأة إنسان أم مخلوق آخر؟ وبعد مشاورات قرروا أنها إنسان خُلق لخدمة الرجل. وحتى عام ١٨٠٥م كان القانون الإنجليزي يبيح للرجل أن يبيع زوجته، وكذلك الثورة الفرنسية لم تكفل للمرأة الأهلية في التصرفات القانونية... أما عند اليهود فكانت المرأة مهانة معزولة في حيضها ونفاسها، فهي عندهم وعاء لإفراغ الشهوة.

### نشأة النسوية الغربية:

لذلك نشأت الحركة النسوية في الغرب قبل أكثر من قرن بقصد اعتراف المجتمع الغربي بأن للمرأة حقوقًا وفرصًا متساوية مع الرجل، وقد كانت في الأساس تهدف إلى منح المرأة الحقوق الأساسية من التعليم والعمل التي حرمت منها قبل الثورة الصناعية، ثم تطورت فكرتها إلى المطالبة بالمساواة بالرجل في جميع الحقوق السياسية والاقتصادية والجنسية والفكرية ومماثلته في كل شيء.

ثم تسللت هذه الحركة إلى المجتمعات العربية إبان الاستعمار الغربي وحققت مكاسب خطيرة من نشر الثقافة الغربية وضعف الولاء للإسلام ونزع الحجاب وانتشار الانحلال والتشكيك في الثوابت الدينية والهجوم على القدوات الحسنة في المجتمع الإسلامي تحت شعار العمل الحقوقي والنشاط الاجتماعي، وكان ذلك عن طريق إنشاء الجمعيات النسوية، ورسالة الفن الهابط والمحافل الماسونية ونوادي الروتاري، وهذه الحركات النسائية الماجنة التي تعمل على غرس المنكرات والإباحية والفجور والدعارة داخل المجتمعات الإسلامية يتزعمها دعاة التجديد الموهوم والمخنثون من الرجال والمترجلات من النساء، التي يهدمون بها كل فضيلة كريمة وكل خلق نبيل وكل فطرة سليمة. يتسابق أولئك وهؤلاء إلى الشهوات وإلى الشهوات فقط.

وحركة إسقاط الولاية من قبل النسويات مما شاع في الفترة القريبة عبر القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي تعني التحرر الجنسي والتمرد على عادات المجتمع وعقوق الآباء وحرية الإلحاد ونبذ الدين الإسلامي والتحلل من أحكام الشرع لينتج عن ذلك التفكك الأسري وذهاب الحاضنة الاجتماعية، وفساد المجتمع، والثورة على الوطن. وهذا هو دأب أهل الباطل والضلال في كل زمان ومكان يقدحون في وجود الخالق، ويطعنون في الشرائع وينشرون الإباحية.

ومن تأمل في سلوك النسويات وارتفاع الأصوات وكثرة الدعوات علم أن هناك حملة ممنهجة ومدروسة من قوى غربية وأبواق مأجورة تدعم هذا التيار الخبيث دعمًا ناجزًا وتدفعه دفعًا عاصفًا نحو تحقيق أهدافه البائسة الممقوتة بتوفير كافة الإمكانيات له ليقوم بمهمته في نشر السلوكيات الشيطانية وتدمير المجتمعات الإسلامية.

والفكر النسوي سلاح فتّاك يستعمله الغرب للقضاء على لحمة المجتمعات الإسلامية وإشاعة الفوضى والانحلال الخلقي تحت شعار حقوق المرأة ونبذ العنف. ودعم الإعلام الغربي وأحلاس الفتنة للنسويات الثائرات على أنظمة المجتمعات الإسلامية يقف على قدمين معوجتين ويفتقد الأساس الذي يقوم عليه حيث يكذب الغرب ويدلس حين يهاجم الأنظمة الإسلامية ويتشدق بحقوق المرأة مع أن واقع المرأة مؤلم في العالم الغربي في كثير من الصور، بل تتحصل على ثمن بخس نظير عملها، كما أن معدلات العنف الواقع على المرأة بكل صوره في ازدياد، وأعظم الإحصائيات المتعلقة بالعنف ضد المرأة رصدت في بلادهم وكثير من المشردات عندهم يتوسدن الطرقات لم يجدن رعاية بل كثير من ملايين نساء العالم المعنفات المضطهدات في الحروب والكوارث لم يجدن عناية من الدول الغربية، وإنما مقصودهم في تهجمهم على مجتمعاتنا الإسلامية إسقاط أحكام الشريعة وتغريب بنات المسلمين والكيد للإسلام ومحو هوية المسلمين.

ومن طمست بصيرته لا ينتفع بالمواعظ والحقائق، قال تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ) (سورة الحج: ٤٦).

### الإسلام يحرم العنف ضد المرأة:

فقد أوصى الإسلام برعاية الرجل لزوجته وبيَن أنها ستار ووقاية له، وهو ستار ووقاية لها، وكان التعبير القرآني أبلغ ما يكون؛ حيث قال الله تعالى عن هذه العلاقة: (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) (سورة البقرة: ١٨٧).

كما بيَن الله تعالى الغاية المنشودة من حياة الزوجين، ومنها السكن والمودة والرحمة بين الزوجين، وليس العنف ولا الشقاق؛ فقال الله تعالى: ( وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم

مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ) (سورة الروم:٢١). وأيضًا أمر الله سبحانه بالمعاشرة بالمعروف؛ حيث قال عز وجل: (وعاشروهن بالمعروف) (النساء: ١١٩).

«وقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم للرجال القدوة في حُسن معاملة النساء، فكان يداعب زوجاته ويلاعبهن تطييبًا لقلوبهن حتى إنه روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في العدو-أي الجري- فسبقته يومًا، وسبقها في بعض الأيام؛ فقال عليه الصلاة والسلام: «هذه بتلك» أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

وقد قرر الإسلام للمرأة حق الصداق، والعدل، والنفقة، وحسن المعاشرة، قال عليه الصلاة والسلام: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر» أخرجه مسلم. ومعنى قوله: «لا يفرك»: لا يبغض ولا يكره.

ومن حرص الإسلام على عدم العنف ضد المرأة أنها حتى في حالة النشوز وضع مراحل العلاج بدءًا بالوعظ ثم الهجر، ولا يكون إلا في المضجع ومكان المبيت؛ تمهيدًا لعودة الصلح، ثم آخر المراحل الضرب وهو غير شديد ولا مبرح، ومما لا ريب فيه أن المرأة هي الأم والزوجة والبنت والأخت وهي حاضنة الرسل، ولولا المرأة ما كان الرجل ولولا الرجل أيضًا ما كانت المرأة فهما مكملان لبعضهما، فالعلاقة بينهما علاقة تكامل لا تنافس، ومن أجل ذلك كانت توجيهات الإسلام كثيرة في حسن التعامل مع المرأة وفي تحريم العنف معها في أي حال من الأحوال، فهي سكن للرجل، وبينهما يجب أن تسود المحبة والمودة لا العنف ولا التشدد.

وعلى خلاف اتجاه هذا التيار النسوي الغربي اللئيم وأزياله الخائبة في بلادنا الإسلامية فإنه يمكن تلخيص علاج ظاهرة العنف ضد المرأة في المفهوم الإسلامي في النقاط التالية:

أولًا: غرس الوازع الديني والضمير الديني الذي يصوغ شخصية الرجل على نحو كريم يحترم فيه المرأة ويصونها، ويعلم أن الله سيحاسبه على ظلمه لها أو عنفها معها، ولا يكون غرس الوازع الديني إلا بالعودة إلى صحيح الدين المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه السلف الصالح من الاعتقاد والمعاملات والسلوك والأخلاق. فمن أهم أسباب العنف ضد المرأة عدم الإيمان بالله سبحانه وتعالى إيمانًا صادقًا صحيحًا، وضعف الوازع الديني وقلة الوعي بحقائق الشريعة الإسلامية المتعلقة بشؤون الأسرة.

ثانيًا: أن تلتزم المرأة بما شرعه الله تعالى من فرائض وأحكام وأخلاقيات وسلوكيات بيّنها النبي صلى الله عليه وسلم وطبقتها أمهات المؤمنين ونساء المسلمين في تاريخ الأمة الإسلامية الطويل عمليًا وواقعيًا واقتضتها الفطرة التي فطرها الله عليها، وخاصها بها وتميزت فيها عن غيرها.

فالفكر النسوي مضاد للمبادئ الإسلامية التي أنزلها الله في كتابه، وأخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم من التفريق بين الرجل والمرأة في الأحكام الشرعية والتمييز بين الجنسين في الخصائص، فكل جنس له حقوق تلائم طبيعته ووظائفه، وقد منح الإسلام الرجل صلاحيات لتحقيق المصلحة وحفظ الحقوق كما في قوله تعالى: «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم»، وقوله تعالى: «وللرجال عليهن درجة»، وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم نارًا»، والأحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى كثيرة.

والحركة النسوية قائمة على الفكر الليبرالي وهو الحرية المطلقة للمرأة في جميع ممارستها ومساواتها للرجل في كل شيء، وهذه الفكرة تناقض مبدأ العبودية لله والاستسلام لشرعه والانقياد فيه بالطاعة بتنفيذ أوامره والمرأة في هذا التوجه الضال تريد الحرية التي لا ضابط لها، فهذه متمردة على شرع الله؛ لأنها تريد حكم الجاهلية. ويمكننا تلخيص الأساليب القذرة والوسائل البشعة التي تسلكها الحركات النسوية في الآتي:

**الأول:** لعن الرجال وتشويه صورتهم في أذهان الفتيات وتحطيم القدوة في حياتهن وتخوين أولياء أمورهن عن طريق سرد قصص التعنيف، وابراز التناقضات وتوجيه الإشارات السلبية لعلماء الدين مع لمحات من الاستهزاء بالنصوص الدينية حتى تتكون حالة التمرد لدى الفتيات وتتشكل شخصياتها المنحرفة فتثور على دين ربها وتنزع طاعة ولي أمرها وتتمرد على أسرتها.

**ثانيًا:** التشنيع على الزواج ورفضه كلية وتفسيره بالعبودية والذل للمرأة واقناع البنات أن هذا

المشـروع مبني على العنصرية الـذكوريـة، والتأكيد على فشله، وأنه سجن يقيّد الحريات ويكبت المشاعر ويكـرّس الظلم الـذكـوري، ويسخر المرأة خادمة وآلة للولادة. وهذه الفكرة بيئة خصبة للانحلال الجنسي والعلاقات غير المشروعة؛ لأنها ترى ذلك من أساس الحرية، ومن أغلق على نفسه باب الحلال فتح عليها باب الحرام، ولذلك شرعن النسويات العلاقات الشاذة بديلاً عن الزواج؛ نعوذ بالله من انتكاس الفطرة وسفاهة العقل.

**ثالثًا:** من أغاليط الربط بين الولاية والعنف، ومعلوم أن العنف يقع على المـرأة في جميع الأحوال حتى خارج العلاقات الشرعية، وكثير من حالات العنف واقعة في المجتمعات العلمانية التي لا تؤمن بنظام الولاية وتعمل بقانون المساواة المطلقة بين الجنسين، ومن تتبع حالات الاغتصاب وقتل النساء في الغرب أيقن هذه الحقيقة. ووجود العنف في مجتمعنا حقيقة لا يمكن إنكارها لكنها ليست ظاهرة كما هو الحال في الغرب وكثير من القصص مفتعل من قبل النسويات وقد لا تصنف من التعنيف أصلاً، وهذا العنف لا يرجع إلى فشل أحكام الشرع وإنما يعود إلى التقصير وسوء المعاملة من بعض الرجال كنتيجة حتمة للابتعاد عن الالتزام بالإسلام.

**رابعًا:** ومن الأفكار السوداء لدى النسويات تفسير التصرفات الفردية أو الجماعية مخالف لرغبة المرأة بأنه إهانة واستعباد للمرأة وعنف، والتحسس من كل موقف تجاه المرأة فليس للأب الكفء مثلاً منع ابنته من أيّ نشاط من زيارة أو سفر أو عمل لمصلحة الحفاظ عليها، وليس للأخ رعاية أخته ومناقشتها في تصرفاتها الخارجة عن العرف المعتبر، وليس للزوج منع زوجته من الخروج من المنزل مطلقًا، وليس له حق الإذن لها بالخروج أو السفر أو المشاركة في أنشطة تؤثر على مسؤوليتها في رعاية الزوج والأولاد، وهكذا كل تصرف عندهم يفسرونه بأنه استعباد واحتقار واهانة وتعنيف للمرأة، وهذا تفسير مخالف للإسلام موافق للمبدأ الغربي.

**خامسًا:** ومن سمات الفكر النسوي الضالّ التهوين من انحرافات الآخرين العقدية والسلوكية فتجد المتحدث يحترم الشخص الآخر أو انحلاله الجنسي أو شذوذه.

سادسًا: ومن أخطر رسائل النسويات وأشد إفسادهن بنساء المسلمين تحريض المرأة على التمرد على قوامة الرجل ووصفه بالقذر والكاذب والمستبد والتعامل معه بالندية ومخاطبته بلغة القوة والانتقام.

**سابعًا:** أن تزعم المرأة النسوية نسبتها للإسلام، وهي تطالب بإسقاط الولاية والتعدد والإرث والحرية في الحجاب والاختلاط، وهي متناقضة وانتقائية في الفكر والمنهج؛ لأن المسلمة حقًا لا تعترض على أحكام الشريعة وترضى بحكم الله وتسلم به. وهي في الحقيقة لم تلتزم المنهج الرسمي للحركة النسوية؛ لأنها تختزل الحرية في أمور معينة وتتقيد في أمور أخرى بالدين أو العرف أو النظام بالتشهي واتباع الهوى.

ثامنًا: وهناك طائفة منهن متسترات بالإسلام يقمن بدور خطير مضلل في قراءة المصادر الإسلامية وتفسير النصوص الدينية بناء على التفسير السياسي والتاريخي والعقلي.

تاسعًا: ومن المراوغة والخداع من بعض النسويات تعويم الخطاب بحيث تقرر أن النسوية تيار عام يدخل فيه العلماني والإسلامي واللا ديني، ثم تنكر بشدة محاربة هذا المصطلح ونبذ هذا التيار ومحاكمته للنصوص الدينية، وتقرر أنها محافظة ملتزمة بالقيم ثم تناقض نفسها وتقول: إن كل إنسان حر في اختيار حياته ومبادئه الفكرية والجنسية، وله حق الاختيار وليس لأحد أن ينكر عليه ويصادر حقوقه الشخصية.

وهذه الفكرة مناقضة للإسلام ولا يمكن أن يكون معتنقها سائرًا على منهج الإسلام الذي ينص على وجوب النصيحة للمسلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغيرة على الحرمات وتعظيم شعائر الله.

إنّ هذا التيار الفكري الفاحش المستبشع يمثل خطورة بالغة على عالمنا الإسلامي المعاصر، ويهدد ثقافة المجتمعات العربية والإسلامية بعد أن انتشرت في بلادنا المسلمة انتشار النار في الهشيم؛ فوجب على العلماء والدعاة وأصحاب الوعي في أمة الإسلام التحذير منه وتوعية الفتيات والنساء المسلمات من شره وخطره.

والله المستعان.

# واحة التوحيد

### من نور كتاب الله

## الصبر وأداء العبادات
## طريق النجاة

قال تعالى: " وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ "

(الرعد: ٢٢).

### من أقوال السلف

عن الربيع: قال الشافعي- رحمه الله-: إذا وجدتم في كتابي خلاف سُنَة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقولوا بسُنَة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ودعُوا ما قلت. (صفة الصفوة).

### من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن وحشيّ بن حرب رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! إنّا نأكل ولا نشبع. قال: «فلعلكم تأكلون متفرِّقين؟»، قالوا: نعم، قال: «فاجتمعُوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يُبارك لكم فيه".

(صحيح أبي داود ٣٧٦٤).

### من فضائل الصحابة

## استخلاف أبي بكر رضي الله عنه

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: «ادعي لي أبا بكر، أباك وأخاك، حتى أكتب كتابًا؛ فإني أخاف أن يتمنَّى مُتمَنٍّ، ويقولَ قائل أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»

(رواه مسلم)

### من دلائل النبوة

عن أنس: قال نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيه خبرهم؛ فقال أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب،- وعيناه تذرفان- حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد ، حتى فتح الله عليهم. (رواه البخاري).

إعداد : علاء خضر

## من آثار المعصية
## الوهن في العبادة

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة. قيل: وما النقص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاءه ما يُنغَصه إياها" (تاريخ الخلفاء).

## تأويلات فاسدة

قالوا في قوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» أي: منتظرة ثواب ربها، فينكرون بهذا التأويل الفاسد رؤية الله بالأبصار في الآخرة. ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنّ الله يُرَى في الآخرة رأي العين.

## من حكمة الشعر

قال الشافعيّ-رحمه الله-:

أحبّ الصالحين ولست منهم
لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي
ولو كنّا سواءً في البضاعة

(ديوان الشافعي)

## أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(من كتب (يس) ثم شربها؛ دخل جوفه ألف نور، وألف رحمة، وألف بركة، وألف دواء، أو خرج منه ألف داء). موضوع. أخرجه الرافعي في "تاريخ قزوين". (السلسلة الضعيفة للألباني).

## من درر العلماء

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أنهم كانوا يتذاكرون الحديث، فقال رجل دعونا من هذا وجيئونا بكتاب الله؛ فقال عمران: "إنك أحمق؛ أتجد في كتاب الله الصلاة مفسَّرة؟ أتجد في كتاب الله الصوم مفسَّرًا؟ إن هذا القرآن أحكم ذاك، والسُّنَّة تفسِّر ذاك" (ذم الكلام للهروي).

# المعازف

إعداد د. متولي البراجيلي

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد: فقد تكلمت في المقالتين السابقتين عن تعريف المعازف، والأحاديث الواردة فيها، وختمت بحديث هشام بن عمار في صحيح البخاري. ورددتُ على النقد الموجَّه للسند:**

١- دعوى اضطراب السند.

٢- إن الحديث مداره على هشام بن عمار وهو مُتكلَّم فيه.

٣- الحديث معلق، والمعلق من أقسام الضعيف.

وأنتقل -بإذن الله تعالى- لمتن الحديث، والنقد الموجَّه لمتنه والرد عليه أولاً: القول بعدم الاتفاق على معنى كلمة المعازف بالتحديد. ولقد سبق أن بينت معنى كلمة المعازف، وأنها تدور بين آلات اللهو التي يُضرب عليها، وأنها ضرب من الطنابير يتخذه أهل اليمن، وأن المعازف اسم يجمع العود والطنبور والدف والقيثارة وما شابههم (انظر في ذلك المراجع التالية: تهذيب اللغة للأزهري ٢/ ٨٦، المخصص لابن سيده ٤/ ١١، شمس العلوم ٧/ ٤٥١٢، تاج العروس ٢٤/ ١٥٥، ٨/٤٣٦، المغرب ٣١٤/١، مختار الصحاح ص٢٠٨، لسان العرب ٩/ ٢٤٤، المصباح المنير ٢/ ٤٠٧، معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٤٩٣، ٢٠٤٣، ٣/ ٢١٣٩، معجم لغة الفقهاء ص ٤٣٧).

### ٢- ضعف دلالة الاقتران:

دلالة الاقتران هي عطف جملة على

جملة، كقوله تعالى: (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) (الأنعام: ١٤١).

أو عطف لفظ على لفظ مثل (واستعينوا بالصبر والصلاة) (البقرة: ٤٥). وقولهم: إن دلالــة الاقــتــران دلالــة ضعيفة، هكذا على الإطلاق غير صحيح، فقد تكون دلالة الاقتران قوية يحتج بها، وقد تكون ضعيفة لا يُحتج بها، وذلك عند تعدد الجمل واستقلال كل جملة بنفسها.

**أولاً:** أمثلة تكون فيها دلالة الاقتران قوية يُحتجّ بها، وذلك عندما يجمع بين شيئين أو أكثر بحكم واحد.

١- كقوله تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) (المائدة: ٣١)؛ فالحكم واحد يشمل الجميع وهو الرجس المعنوي، والمحكوم عليه متعدد. فالحكم واحد يشمل الجميع وهو الرجس المعنوي، والمحكوم عليه متعدد.

٢- قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ) (النور: ٥٦). دلالة الاقتران قوية وهي الوجوب.

٣- حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "ثلاث حق على كل مسلم: الغسل يوم الجمعة، والسواك، ويمّس من طيب إن وجد" (مسند أحمد، صححه الأرناؤوط والألباني في السلسلة الصحيحة). فقد اشترك الثلاثة في حكم واحد وهو حقّ على كل مسلم، فإذا كان السواك والطيب مستحبين كان الثالث وهو اغتسال يوم الجمعة مستحبًا (وهو ما عليه الجمهور).

**ثانيًا:** أمثلة تكون فيها دلالة الاقتران ضعيفة، وذلك عند تعدد الجمل واستقلال كل جملة بنفسها. مثل قوله تعالى: كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ) (الأنعام: ١٤١)؛ فدلالة الاقتران هنا ضعيفة لاستقلال كل جملة بنفسها وحكمها، فالأكل من الثمر على الإباحة، أما الزكاة فهي واجبة.

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يبولن أحدكم في الماء الراكد، ولا يغتسل فيه من الجنابة" (رواه مسلم وابن ماجه)؛ إذا كانت العلة هي النجاسة للبول، فهذا لا يشمل اغتسال الجنب؛ لأن المني طاهر، فحكم البول يختلف عن حكم المني.

٣- حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ..... (متفق عليه). فدلالة الاقتران هنا ضعيفة؛ لأنه ترك الشهادتين كفر بإجماع، بينما ترك الصلاة والزكاة، فالجمهور على أنه لا كفر إلا بالجحود.

ونعود لحديث المعازف، فهل دلالة الاقتران فيه قوية أم ضعيفة؟

"ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف". على ضوء ما بيّنت في نوعي دلالة الاقتران من حيث القوة والضعف، نجد أن دلالة الاقتران في الحديث هنا قوية؛ لأن المذكورات في الحديث يشملها حكم واحد.

فقوله صلى الله عليه وسلم: "يستحلون"، معناه أن المذكورات ليست حلالاً، وإنما هي محرمات، ولو لم تكن حرامًا ما قال: يستحلون، وكل من الزنا، والخمر، والحرير -على الرجال- محرمات نصًا وإجماعًا.

**ثالثًا:** قولهم إن الاستحلال اعتقاد أن ذلك حلال.

الاستحلال هو أن يقول مثلاً: أعلم أن

الخمر حرام ولكني سأشربها، والزنا حرام ولكني سأفعله.

فهذا لا شك أنه يكفر، بعد تحقق الشروط وانتفاء الموانع والاستتابة؛ لأن مَن استحل ما عُلم من الشرع تحريمه، فقد كذَّب الله تعالى، وكذَّب رسوله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وبلَّغ عن ربه سبحانه وتعالى. يقول ابن تيمية عن الاستحلال في الحديث: "فإنهم لو استحلوها مع اعتقادهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرَّمها كانوا كفارًا ولم يكونوا من أمته ..... فيشبه أن يكون استحلالهم الخمر، يعني أنهم يسمونها بغير اسمها كما في الحديث، فيشربون الأشربة المحرمة ولا يسمونها خمرًا، واستحلالهم المعازف باعتقادهم أن آلات اللهو مجرد سماع صوت فيه لذة، وهذا لا يحرم كألحان الطيور، واستحلال الحرير وسائر أنواعه باعتقادهم أنه حلال للمقاتلة (للجنود)، وقد سمعوا أنه يُباح لُبسه عند القتال، فقاسوا سائر أحوالهم على تلك..." (ابن تيمية: إبطال التحليل ص ٢٠-٢١، نقلاً عن تحريم آلات الطرب للألباني ص ٩٧).

وهذا المعنى الاصطلاحي -للاستحلال- جاء بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم، ككل الاصطلاحات التي جاءت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم، ككلمة سُنة في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم صارت بعد ذلك اصطلاحًا مرادفة للمستحب.

واصرار المسلم على الذنب لا يدل على الاستحلال إن اعتقد التحريم ولكن تغلبه شهوته، وإن كان قد وقع في كبيرة من الكبائر.

فالمسلم الذي يستحل أي شيء حرمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو مُكذِّب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وليس المذكور فقط في حديث المعازف.

**رابعًا:** القول إن الحرمة في الحديث من اقتران المذكورات في الحديث مع بعضها البعض. فالقاعدة أنه لا يُجمع بين مباح ومحرم في الوعيد.

يقول السمعاني: "لا يصح الجمع بين شيئين في الوعيد؛ إلا أن يكون كل واحد منهما يستحق عليه الوعيد" (قواطع الأدلة للسمعاني ١/٤٦٥).

وهذا باطل، وإلا كان الزنا وشرب الخمر في الحديث ليسا بمحرمين إلا عند اقترانهما بباقي المذكورات في الحديث. فكل من المذكورات الأربعة في الحديث هو حرام بمفرده. وكذلك قولهم: إن الوعيد على شرب الخمر وأن المعازف مكملة، هو كسابقه قول باطل.

يقول الشوكاني، بعد أن ذكر أقوال المجوزين لسماع المعازف: "أنه يحتمل أن تكون المعازف المنصوص على تحريمها هي المقترنة بشرب الخمر، كما ثبت في رواية بلفظ: "ليشربن أناس من أمتي الخمر تروح عليهم القيان وتغدو عليهم المعازف". ويجاب: بأن الاقتران لا يدل على أن المحرم هو الجمع فقط، وإلا لزم أن الزنا المصرح به في الحديث لا يحرم إلا عند شرب الخمر واستعمال المعازف، واللازم باطل بالإجماع فالملزوم مثله (نيل الأوطار ١١٦/٨).

ففي الحديث قرن الأربعة تحت حكم واحد: "يستحلون"؛ فلا يصح حملها على المجموع كله دون أفراد المذكورات.

قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا» (الفرقان: ٦٨). فهل نقول أن التحريم المذكور في الآية يكون عند اقتران المذكورات في الآية مع بعضها البعض؟ هذا لا يقوله عاقل على الإطلاق. وكذلك قوله تعالى: «إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ» (الحاقة: ٣٣-٣٤). أنه لا يحرَم عدم الإيمان بالله إلا عند عدم الحض على طعام المسكين.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

الحلقة 4

## مدخل إلى علم التفسير

# خصائص التفسير النبوي

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله.

أما بعد: فقد تكلمنا في الحلقة السابقة عن الخاصية الثانية من خصائص التفسير النبوي؛ وهي أن تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن كان قولا وفعلا وتقريرًا، وفي هذا اللقاء أكمل ذكر خصائص التفسير النبوي فأقول:

إعداد **د. محمد عاطف التاجوري**

**الخاصية الثالثة: وأصوغها في السؤال التالي:**

هل كان تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن وحيًا أم اجتهادًا؟

ولمعرفة الإجابة عن هذا السؤال لا بد من الكلام عن اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه مسألة اختلف فيها العلماء، قال ابن قدامة في روضة الناظر: ويجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدًا بالاجتهاد فيما لا نص فيه، وأنكر ذلك قوم؛ لأنه قادر على استكشاف الحكم بالوحي الصريح، ولأن قوله نصّ قاطع والظن يتطرق إليه احتمال الخطأ فهما متضادان. (روضة الناظر، لابن قدامة، ج٢، ص٣٤١، ٣٤٢).

وأتـى المحقق للكتاب بقول سليمان بن عبد القوي الطوفي في شرحه لمختصر الروضة حيث قال: «اعلم أن ما فيه نص إلهي لا يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم أن يجتهد فيه، بخلاف النص شرعًا؛ لقوله عز وجل «اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ» (الأنعام:١٠٦)، أما ما لا نص فيه، فهل يتعبد بالاجتهاد أم لا؟ والمذاهب فيه أربعة:

أحدها: الإثبات وهو مذهب أحمد والقاضي أبي يوسف.

والثاني: النفي وهو قول أبي علي الجبائي، وابنه أبي هاشم.

والثالث: الإثبات في الحروب والآراء، دون الأحكام الشرعية.

والرابع: تجويزه من غير قطع به، حكاه الآمدي عن الشافعي في رسالته، وقال: وبه قال بعض الشافعية والقاضي عبد الجبار وأبو الحسن البصري.

ثم رجّح جواز وقوعه وأن ذلك هو الأصح. (روضة الناظر لابن قدامة، للدكتور/ شعبان محمد إسماعيل- ج٢، ص٣٤٢).

واستدل على جواز وقوع الاجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم بأدلة منها:

قوله تعالى: «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ» (الحشر: ٢).

ولأنه صلى الله عليه وسلم عُوتبَ في أسارى بدر، ولو حكم بالنص لما عوتب: (قال في التعليق: أما وقد عوتب في أخذ الفداء؛ فهذا يدل على أنه اجتهد).

ولأنه قال في مكة: لا يختلى خلاها، قال العباس: إلا الإذخر، فقال: إلا الإذخر، والحديث بتمامه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل حرّم مكة، فلم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وانما حلت لي ساعة من نهار، لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمُعرِّف»، فقال العباس: إلا الإذخر لبيوتنا وقبورنا، قال: إلا الإذخر. (رواه البخاري ١٣٤٩، ١٨٣٣).

ومعنى (خلاها): الخلا: نبات رقيق ما دام رطبًا، ومعنى (لا يُختلى): لا يُقطع، و(لا يُعضد): أي: لا يُقطع، والإذخر: حشيشة معروفة طيبة الريح توجد بالحجاز.

ولما سئل عن الحج: ألعامنا هو أم للأبد؟ فقال: «للأبد، ولو قلت لعامنا لوجب».

والقصة كما في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنَّ النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ أهَلَّ وأَصْحابُهُ بالحَجِّ، وليسَ مع أحَدٍ منهمْ هَدْيٌ غيرَ النبيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ، وطَلْحَةَ، وكانَ عَلِيٌّ قَدِمَ مِنَ اليَمَنِ ومعهُ الهَدْيُ، فَقالَ: أهْلَلْتُ بما أهَلَّ به رَسولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ، وأنَّ النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ أذِنَ لأَصْحابِهِ أنْ يَجْعَلُوها عُمْرَةً، يَطُوفُوا بالبَيْتِ، ثُمَّ يُقَصِّرُوا ويَحِلُّوا إلَّا مَن معهُ الهَدْيُ، فَقالوا: نَنْطَلِقُ إلى مِنًى وذَكَرُ أحَدِنا يَقْطُرُ، فَبَلَغَ النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ فَقالَ: لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِن أمْرِي ما اسْتَدْبَرْتُ ما أهْدَيْتُ، ولَوْلَا أنَّ مَعِي الهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ، وأنَّ عائِشَةَ حاضَتْ، فَنَسَكَتِ المَنَاسِكَ كُلَّها غيرَ أنَّها لَمْ تَطُفْ بالبَيْتِ، قالَ: فَلَمَّا طَهُرَتْ وطافَتْ قالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ، أتَنْطَلِقُونَ بعُمْرَةٍ وحَجَّةٍ وأَنْطَلِقُ بالحَجِّ؟ فأمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ أبِي بَكْرٍ أنْ يَخْرُجَ معها إلى التَّنْعِيمِ، فاعْتَمَرَتْ بَعْدَ الحَجِّ في ذِي الحَجَّةِ. وأنَّ سُرَاقَةَ بنَ مالِكِ بنِ جُعْشُمٍ لَقِيَ النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ وهو بالعَقَبَةِ، وهو يَرْمِيها، فَقالَ: ألَكُمْ هذِه خاصَّةً يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: لا، بَلْ لِلْأَبَدِ. (رواه البخاري برقم ١٧٨٥، ومسلم برقم ١٢١٦).

والشاهد منها قوله صلى الله عليه وسلم: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت»، وهذا يدل على أن هذا كان باجتهاد منه صلى الله عليه

وسلم.

واستدل على ذلك أيضًا باجتهاد داود وسليمان عليهما السلام فقال: ولأن داود وسليمان عليهما السلام حكما بالاجتهاد، بدليل قوله تعالى: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ» (الأنبياء: ٧٩)، ولو حكما بالنص لم يخص سليمان بالتفهيم، ولو لم يكن الحكم بالاجتهاد جائزًا، لما حدهما الله تعالى بقوله: «وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» (الأنبياء: ٧٩). (روضة الناظر: ج٢، ص٣٤٦).

فهذه بعض النماذج من اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم، وهي كما رأينا قليلة جدًا، ومعظمها كما قال العلماء في الحروب والآراء دون الأحكام الشرعية.

### هل يوجد اجتهاد نبوي في التفسير؟

يقول الله تعالى: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» (القيامة: ١٦-١٩).

قال ابن كثير في تفسيره: «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ»: أي بعد حفظه وتلاوته، نبيّنه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا.

وقال ابن عباس وعطية العوفي: «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ»، تبيين حلاله وحرامه، وكذا قال قتادة. (تفسير ابن كثير، تحقيق: أحمد شاكر- ج٣، ص٥٣٨).

وقال الشيخ السعدي في تفسيره: «ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه»، أي بيان معانيه، فوعده بحفظ لفظه، وحفظ معانيه، وهذا أعلى ما يكون، فامتثل صلى الله عليه وسلم لأدب ربه، فكان إذا تلا عليه جبريل القرآن بعد هذا أنصت له، فإذا فرغ قرأهن، وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم للعلم قبل أن يفرغ المعلم من المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ منها سأله عما أشكل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، قبل الفراغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهمًا يتمكن فيه من الكلام فيه على وجه الصواب، وفيها أن النبي صلى الله عليه وسلم كما بيّن للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بيّن لهم معانيه. (تفسير السعدي، ص١٢٥٤).

وهذا يعني أن بيان معاني القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله تبارك وتعالى، فكما بيّن له ألفاظه فإنه يبين له معاني هذه الألفاظ، ويعني أيضًا أن التفسير النبوي للقرآن إنما هو وحي من عند الله تعالى وليس اجتهادًا من عند الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومما يؤيد ذلك أيضًا قول جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حديث حجة النبي صلى الله عليه وسلم: (ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به...). (صحيح مسلم برقم: ١٢١٨).

والشاهد منه قوله: وعليه ينزل القرآن وهو يعلم تأويله - أي تفسيره- فهذا جابر بن عبد الله رضي الله عنه أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم تفسير القرآن، وأن هذا مما علمه الله إياه، بوحي منه عز وجل، كما قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ» (الشورى: ٥١).

وقال ابن كثير في تفسيرها: هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل، وهو أنه تارة يقذف في روع النبي شيئًا لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل، وقوله «أَوْ من وَرَاء حجَاب»، كما كلم موسى عليه السلام، فإنه سأل الرؤيا فحجب عنها، وقوله: «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحيَ بإذْنه مَا يَشَاء»، كما ينزل جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم السلام.

وصلى الله وسلم على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

# صلاة الجمعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، بدأنا في اللقاء السابق الحديث عن سنن وآداب صلاة الجمعة، ونواصل في هذا اللقاء الحديث عن هذه السنن والآداب.

### سنن وآداب صلاة الجمعة:

### ٢- التجمل والتطيب لصلاة الجمعة:

لا خلاف بين العلماء في أنه يُسنّ لمن يأتي الجمعة التجمُّل والتطيُّب ونحو ذلك كإزالة الرائحة الكريهة بالسواك للفم وغيره من مواطن الرائحة في الجسم، ولُبس أحسن الثياب؛ لحديث سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر بما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته، ثم يروح إلى المسجد ولا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت للإمام إذا تكلم، إلا غفر له ما بين الجمعة إلى الجمعة الأخرى» أخرجه البخاري.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «على كل مسلم الغسل يوم الجمعة، ويلبس من صالح ثيابه، وإن كان له طيب مس منه» أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «غسل يوم الجمعة على كل محتلم وسواك ويمس من الطيب ما قدر

إعداد د. حمدي طه

عليه، أخرجه مسلم.

قوله: (ويدهن من دهنه) المراد به إزالة شعث الشعر به، وفيه إشارة إلى التزين يوم الجمعة.

قوله: (...أو يمس من طيب بيته)، ظاهره: التخيير بين الأمرين، إما الادهان، أو التطيب، وأن أحدهما كاف.

وقوله: (من طيب بيته) يشير إلى أنه ليس عليه أن يطلب ما لا يجده، بل يجتزئ بما وجده في بيته. (انظر: فتح الباري لابن رجب ٥/٣٦٦، نيل الأوطار للشوكاني ٥/٣٩٧).

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر يوم الجمعة: (ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته؟) أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

ولا خلاف بين العلماء في استحباب لبس أجود الثياب لشهود الجمعة والأعياد. قال ابن البر: في هذا الحديث اتخاذ الثياب واكتسابها والتجمل بها في الجمعة وكذلك الأعياد. (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢٤/٣٨).

### ٣- التبكير لصلاة الجمعة:

يسن التبكير في الذهاب إلى صلاة الجمعة باتفاق أهل العلم لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من راح في الساعة الأولى فكأنما قرَّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر). أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَن غسَّل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يَلْغُ؛ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها». أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة وصححه الألباني.

وإذا كان السادة العلماء اتفقوا على استحباب التبكير إلى صلاة الجمعة، فقد اختلفوا في وقت التبكير:

فذهب جمهور العلماء إلى أنه يستحب التبكير من أول النهار وهو قول الثوري وأبي حنيفة والشافعي وأكثر العلماء كلهم يستحب البكور إليها، حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: لو خرج إليها بعد صلاة الفجر وقبل طلوع الشمس لكان حسناً. (انظر الاستذكار لابن عبد البر ٢/٦).

وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أن التبكير المشروع إنما هو وقت الزوال ولا يشرع التبكير من أول النهار. عن حرملة أنه سأل بن وهب عن تفسير هذه الساعات أهو الغدو من أول ساعات النهار أو إنما أراد بهذا القول ساعات الرواح فقال ابن وهب سألت مالكا عن هذا، فقال: أما الذي يقع في قلبي فإنه إنما أراد ساعة واحدة تكون فيها هذه الساعات من راح في أول تلك الساعة أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة ولو لم يكن كذلك ما صليت الجمعة حتى يكون النهار تسع ساعات في وقت العصر أو قريبًا من ذلك (انظر: الاستذكار لابن عبد البر ٣/٦).

### وسبب الاختلاف يرجع لأمور منها:

اختلافهم في تفسير الساعات المذكورة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من راح في الساعة الأولى فكأنما قرَّب بدنة... الحديث، فقد اختلفوا هل هذه الساعات هي ساعات النهار المعروفة، والتي تبدأ من أول النهار، أم أن هذه الساعات هي ساعات لطيفة بعد الزوال كما قاله الإمام مالك؟

وبالتالي فلا يشرع للمسلم التبكير إلى الجمعة من أول النهار.

واختلافهم في معنى الرواح الوارد في الحديث، فقال المالكية: والرواح في أصل اللغة: الرجوع بعَشيّ، ومنه قول امرئ القيس: ورحنا كأنّا من جُواثا عَشيّةً نُعالي النِّعاجَ بَيْنَ عدْلٍ ومَحْقَبِ وأوّل العشي: زوال الشمس، وهو أوّل وقت أمرنا الله تعالى فيه بالسعي إلى الجمعة؛ لأنه تعالى قد قال: ﴿إذا نودِيَ للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾، وهذا النداء هو الذي يحصل به الإعلام بدخول الوقت. (انظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ١١٦/٧).

وأجيب بأن الرواح يكون أول النهار وآخره، قال الأزهري: لغة العرب الرواح الذهاب سواء كان أول النهار أو آخره أو في الليل، وهذا هو الصواب الذي يقتضيه الحديث. (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٨/١١).

واختلافهم في لفظة التهجير الواردة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا كان يوم الجمعة قام على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس الأول فالأول فالمهجر إلى الجمعة كالمهدي بدنة، ثم الذي يليه كالمهدي بقرة، ثم الذي يليه كالمهدي كبشا حتى ذكر الدجاجة والبيضة، فإذا جلس الإمام طويت الصحف واستمعوا الخطبة) أخرجه البخاري ومسلم. فقال المالكية: هذه اللفظة إنما هي مأخوذة من الهاجرة والهجير، وذلك وقت المسير إلى الجمعة ولا يجوز أن يسمى عند طلوع الشمس هاجرة ولا هجيرًا؛ لأن ذلك الوقت ليس به هاجرة ولا هجير؛ فدل على صحة قول مالك. (انظر الاستذكار لابن عبد البر ٦/٣، شرح البخاري لابن بطال ٢/٤٨١). واعترض على هذا بأن يكون المهجر من هجر المنزل وتركه في أي وقت كان وهذا بعيد. (انظر إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام).

وقال الآخرون: الكلام في لفظ التهجير كالكلام في لفظ الرواح فإنه يطلق ويراد به التبكير.. والصواب فيه ما روى أبو داود المصاحفي عن النضر بن شميل أنه قال: التهجير إلى الجمعة وغيرها: التبكير والمبادرة إلى كل شيء قال: سمعت الخليل يقول ذلك قاله في تفسير هذا الحديث قال الأزهري: وهذا صحيح وهي لغة أهل الحجاز ومن جاورهم وذكر الأثرم قال: قيل لأحمد بن حنبل: كان مالك بن أنس يقول: لا ينبغي التهجير يوم الجمعة باكرًا فقال: هذا خلاف حديث النبي صلى الله عليه وسلم وقال: سبحان الله! إلى أي شيء ذهب في هذا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (كالمهدي جزورًا) (انظر زاد المعاد- ابن القيم الجوزية ١/٣٨٦ بتصرف).

عمل أهل المدينة: حيث يحتج مالك بأن أهل المدينة لم يكن يُعرَف عنهم التبكير إلى الجمعة من أول النهار، مما يؤكد أن التبكير المشروع إنما هو عند الزوال. والأرجح أن التبكير مشروع إذا لم يترتب عليه فوات ما هو أحب منه إلى الله، وتقييده بما بعد الزوال فيه نظر(انظر زاد المعاد- ابن القيم الجوزية ١/٣٨٦ بتصرف).

### ٤- المشي لصلاة الجمعة على الأقدام:

ذهب الفقهاء إلى أنه يستحب لمريد حضور الجمعة أن يسير إليها ماشيًا بسكينة ووقار قال الإمام النووي: (اتفق الشافعي والأصحاب وغيرهم على أنه يُستحب لقاصد الجمعة أن يمشي، وأن لا يركب في شيء من طريقه إلا لعذر كمرض ونحوه) المجموع ٥٤٤/٤.

والأصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه السابق: (ومشى ولم يركب...)، ولما فيه من التّواضع لله عزّ وجلّ؛ لأنّه عبدٌ ذاهب لمولاه، فيطلب منه التّواضع له فيكون ذلك سبباً في إقباله عليه.

وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

فقه

المرأة المسلمة

الحلقة 62

# فقه المرأة المسلمة

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

**بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

**أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن صوم المرأة بإذن زوجها إذا كان تطوعًا، وعدم إذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه، والترهيب من كفران العشير، وخدمة المرأة لزوجها واجبة أم مستحبة؟ ونستكمل فقه النكاح سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.**

## أولا: استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره:

عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا اسْتَأْذَنَتْ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يَمْنَعْهَا» أخرجه البخاري (٥٢٣٨)، ومسلم (٤٤٢). وفي رواية: «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا»- أخرجه مسلم (١٣٥- ٤٤٢).

جاء في شرح مسلم (٢/٣٩٩): قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ» هذا وشبهه من أحاديث الباب ظاهر في أنها لا تُمنع المسجد لكن بشروط، ذكرها العلماء مأخوذة من الأحاديث، وهو ألا تكون متطيبة ولا متزينة ولا ذات خلاخل يسمع صوتها ولا ثياب فاخرة ولا مختلطة بالرجال ولا شابة ونحوها ممن يفتتن بها وألا يكون في الطريق ما يخاف به مفسدة ونحوها، وهذا النهي عن منعهن من الخروج محمول على كراهة التنزيه إذا كانت المرأة ذات زوج أو سيد ووجد الشروط المذكورة فإن لم يكن لها زوج ولا سيد حرم المنع إذا وجدت الشروط.

جاء في المجموع شرح المهذب (٤/ ١٩٩): يُستحب للزوج أن يأذن لها إذا استأذنته إلى المسجد للصلاة إذا كانت عجوزًا لا تُشتهى، وأمن المفسدة عليها وعلى غيرها؛ للأحاديث المذكورة فإن منعها لم يحرم عليه، هذا مذهبنا. قال البيهقي: وبه قال

عامة العلماء. ويُجاب عن حديث: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» بأنه نهي تنزيه؛ لأن حق الزوج في ملازمة المسكن واجب فلا تتركه للفضيلة.

### ثانيا: لا تباشر المرأةُ المرأةَ فتنعتها لزوجها:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا» أخرجه البخاري (٥٢٤٠).

قال القابسي: هذا أصل لمالك في سدّ الذرائع؛ فإن الحكمة في هذا النهي خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة أو الافتتان بالموصوفة. (فتح الباري ٩/ ٢٥٠).

### ثالثا: هجر الزوجة تاديبا:

#### تعريف الهجر:

الهجر لغة: مصدر هجر، وهو ضد الوصل، وهجره يهجره هجرًا وهجرانًا، والاسم الهجرة، وهجر فلان فلانًا: أي قاطعه، والهجر: الترك والإعراض. (لسان العرب ٥/ ٢٥٠).

الهجر اصطلاحًا: ترك ما يلزم تعاهده، ومفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب. (مغني المحتاج ٣/ ٢٥٩، كشاف القناع ٥/ ٢٠٩).

#### حكم هجر الزوجة:

الأصل أن هجر المسلم لأخيه المسلم من غير سبب محظور، ويدخل في ذلك هجر الزوجة، فإن وُجِد سبب يستدعي هجر الزوجة فقد اتفق الفقهاء على جواز الهجر.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- قال تعالى: «وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا» (النساء: ٣٤).

٢- عن جَابِر بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: اعْتَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ شَهْرًا. صحيح مسلم (١٠٨٤).

٣- أن للهجر أثرًا كبيرًا في تأديب النساء؛ لأن المرأة بطبيعتها لا تصبر على بُعد زوجها، فكان للهجر أثر في تأديب المرأة.

#### أقوال أهل العلم:

قال العلامة ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٦٨): والنساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن، والنشوز: هو الارتفاع، فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها التاركة لأمره المعرضة عنه المبغضة له فمتى ظهر له منها أمارات النشوز فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه، فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته، وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والإفضال... ثم ساق جملة من الأحاديث الدالة على حق الزوج كما سبق بيانه، ثم قال: وقوله: «وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ»: قال غير واحد: الْهَجْرُ: هو ألا يجامعها ويضاجعها على فراشها ويُوليها ظهره.

وزاد آخرون: ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها، وقيل: يعظها فإن هي قبلت وإلا هجرها في المضجع، ولا يكلمها من غير أن يذر نكاحها، وذلك عليها شديد.

وقال آخرون: الهجر هو ألا يضاجعها.

وعن معاوية بن حيدة القشيري أنه قال: يا رسول الله! ما حق امرأة أحدنا عليه؟ قال: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ» صحيح سنن أبي داود (٢١٤٢).

وقوله: «وَاضْرِبُوهُنَّ» أي: إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران، فلكم أن تضربوهن ضربًا غير مبرح كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع: «فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» أخرجه مسلم (١٢١٨).

وقوله تعالى: «فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً» أي: إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها؛ فلا سبيل له عليها بعد ذلك وليس له ضربها، ولا هجرانها «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا» تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلي الكبير وليهن وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن.

قال الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٧٨/٥): أمر الله أن يبدأ النساء بالموعظة أولاً، ثم بالهجران، فإن لم ينجعا فالضرب فإنه هو الذي يصلحها له ويحملها على توفية حقه والضرب في هذه الآية هو ضرب الأدب غير المبرح، وهو الذي لا يكسر عظمًا ولا يشين جارحة كاللكزة ونحوها، فإن المقصود منه الصلاح لا غير.

قال الصنعاني في سبل السلام (٣/ ٢٠٧): واختلف في تفسير الهجر، فالجمهور فسروه بترك الدخول عليهن والإقامة عندهن على ظاهر الآية، وهو من الهجران بمعنى البعد، وقيل: يضاجعها ويوليها ظهره وقيل: يترك جماعها، وقيل: يجامعها ولا يكلمها وقيل من الهجر الإغلاظ في القول، وقيل: من الهجار وهو الحبل الذي يربط به البعير أي أوثقوهن في البيوت؛ قاله الطبري واستدل له، ووهاه ابن العربي.

قال الشافعي: قال عز وجل: «وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ» يحتمل إذا رأى الدلالات في إيغال المرأة وإقبالها على النشوز فكان للخوف موضع أن يعظها، فإن أبدت نشوزًا هجرها فإن أقامت عليه ضربها، وذلك أن العظة مباحة قبل الفعل المكروه إذا رؤيت أسبابه وأن لا مؤنة فيها عليها كضربها وأن العظة غير محرمة من المرء لأخيه، فكيف لامرأته والهجرة لا تكون إلا بما يحل به الهجرة؛ لأن الهجرة محرمة في غير هذا الموضع فوق ثلاث والضرب لا يكون إلا بيان الفعل؛ فالآية في العظة والهجرة والضرب على بيان الفعل تدل على أن حالات المرأة في اختلاف ما تعاقب فيه من العظة والهجرة والضرب مختلفة، فإذا اختلفت فلا يشبه معناها إلا ما وصفت. شرح المهذب (١٣٥/١٨).

جاء في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٣٣٤): ومنها ولاية التأديب للزوج إذا لم تطعه فيما يلزم طاعته بأن كانت ناشزة، فله أن يؤدبها لكن على الترتيب، فيعظها أولاً على الرفق واللين بأن يقول لها كوني من الصالحات القانتات الحافظات للغيب ولا تكوني من كذا وكذا، فلعلها تقبل الموعظة، فتترك النشوز، فإن نجعت فيها الموعظة، ورجعت إلى الفراش وإلا هجرها.

جاء في الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (٢/ ٣٤٣): (ووعظ) الزوج (من نشزت) النشوز الخروج عن الطاعة الواجبة كأن منعته الاستمتاع بها، أو خرجت بلا إذن لمحل تعلم أنه لا يأذن فيه، أو تركت حقوق الله تعالى كالغسل أو الصلاة، ومنه إغلاق الباب دونه كما مر والوعظ التذكير بما يلين القلب لقبول الطاعة واجتناب المنكر(ثم) إذا لم يفد الوعظ (هجرها).

جاء في حاشية البجيرمي على الخطيب (٣/ ٤٧٥): (فإن أبت) مع وعظه (إلا النشوز هجرها) في المضجع، أي يجوز له ذلك لظاهر الآية، ولأن في الهجر أثرًا ظاهرًا في تأديب النساء. والمراد أن يهجر فراشها فلا يضاجعها فيه.

جاء في المبدع في شرح المقنع (٦/ ٢٦٣): (وإذا ظهر منها أمارات النشوز، بألا تجيبه إلى الاستمتاع، أو تجيبه متبرمة متكرهة؛ وعظها) بأن يذكر لها ما أوجب الله تعالى عليها من الحق، وما يلحقها من الإثم بالمخالفة، وما يسقط بذلك من النفقة والكسوة، وما يباح له من هجرها وضربها.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

# تعلمتُ في الإصلاح بين الناس

# التغافل؛ من أحسن الأخلاق

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد: فإن الإصلاح بين الناس من أعظم الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه جل وعلا، حيث إن الاختلاف بين الناس أمر واقع ومن سجايا البشر، وذلك لاختلاف أخلاقهم وطبائعهم، ولتنافسهم في حظوظ الدنيا من المال والشرف وغيرهما، قال الله تعالى: «وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ » (هود: ١١٨:١١٩).**

**إعداد د. جمال عبد الرحمن**

وأحياناً تجد المتخاصمين عندما يريدون حكاية حجتهم يحاولون كشف كل مستور، ظانين بذلك أن كثرة إيراد الأخطاء لخصومهم تثبت الحق لهم، وهذه بلا شك ليس طريقة صلح وإصلاح، إنما هي طريقة تزيد الفجوة، وتوسع شقة الخلاف، حتى لربما قاموا فلم يصطلحوا، وإن اصطلحوا فهو على كراهية مطوية في القلب أكثر من ذي قبل.

قال الإمام الماوردي رحمه الله تعالى في كتابه "أدب الدنيا والدين" ص/١٨٠:

حُكِيَ عَنْ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ أَنَّهَا قَالَتْ لِزَوْجِهَا طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ، وَكَانَ أَجْوَدَ قُرَيْشٍ فِي زَمَانِهِ: مَا رَأَيْت قَوْمًا أَلْأَمَ مِنْ إخْوَانِك. قَالَ مَهْ وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: أَرَاهُمْ إذَا أَيْسَرْت لَزِمُوك، وَإِذَا أَعْسَرْت تَرَكُوك. قَالَ: "هَذَا وَاللَّهِ مِنْ كَرَمِهِمْ، يَأْتُونَنَا فِي حَالِ الْقُوَّةِ بِنَا عَلَيْهِمْ، وَيَتْرُكُونَنَا فِي حَالِ الضَّعْفِ بِنَا عَنْهُمْ". فَانْظُرْ كَيْفَ تَأَوَّلَ بِكَرَمِهِ هَذَا التَّأْوِيلَ حَتَّى جَعَلَ قَبِيحَ فِعْلِهِمْ حَسَنًا، وَظَاهِرَ غَدْرِهِمْ وَفَاءً. وَهَذَا مَحْضُ الْكَرَمِ وَلُبَابُ الْفَضْلِ، وَبِمِثْلِ هَذَا يَلْزَمُ ذَوِي الْفَضْلِ أَنْ يَتَأَوَّلُوا الْهَفَوَاتِ مِنْ إخْوَانِهِمْ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

إذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَك زَلَّةٌ
فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لِزَلَّتِهِ عُذْرَا

وَالدَّاعِي إلَى هَذَا التَّأْوِيلِ (والاحتيال) شَيْئَانِ: التَّغَافُلُ الْحَادِثُ عَنْ الْفِطْنَةِ، وَالتَّأَلُّفُ الصَّادِرُ عَنْ الْوَفَاءِ. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: وَجَدْتُ أَكْثَرَ أُمُورِ الدُّنْيَا لا تَجُوزُ إلَّا بِالتَّغَافُلِ. وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ: مَنْ شَدَّدَ نَفَّرَ، وَمَنْ تَرَاخَى تَأَلَّفَ، وَالشَّرَفُ فِي التَّغَافُلِ. وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ الْأَدِيبُ: الْعَاقِلُ هُوَ الْفَطِنُ الْمُتَغَافِلُ. وَقَالَ الطَّائِيُّ: لَيْسَ الْغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي....وَلِذَلِكَ قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ: السَّخَاءُ حُسْنُ الْفِطْنَةِ وَاللُّؤْمُ سُوءُ التَّغَافُلِ.

قال ابن مفلح رحمه الله (ت:٧٦٣هـ).

وروى الْبَيْهَقِيُّ فِي مَنَاقِبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ زَائِدَةَ قَالَ: الْعَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي التَّغَافُلِ. فَحَدَّثْتُ بِهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فَقَالَ الْعَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ كُلُّهَا فِي التَّغَافُلِ. وَكَثِيرًا مَا وَصَفَتْ الْعَرَبُ الْكُرَمَاءَ وَالسَّادَةَ بِالتَّغَافُلِ وَالْحَيَاءِ فِي بُيُوتِهَا وَأَنْدِيَتِهَا....قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: شَرْطُ الصُّحْبَةِ إقَالَةُ الْعَثْرَةِ، وَمُسَامَحَةُ الْعِشْرَةِ، وَالْمُوَاسَاةُ فِي الْعُسْرَةِ قِيلَ لِلْعَتَّابِيِّ: إنَّك تَلْقَى النَّاسَ كُلَّهُمْ بِالْبِشْرِ قَالَ: دَفْعُ ضَغِينَةٍ بِأَيْسَرِ مُؤْنَةٍ، وَاكْتِسَابُ إخْوَانٍ بِأَيْسَرِ مَبْذُولٍ. قَالَ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ:

**أَخُو الْبِشْرِ مَحْمُودٌ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ**
**وَلَمْ يَعْدَمْ الْبَغْضَاءَ مَنْ كَانَ عَابِسًا**
**وَيُسْرِعُ بُخْلُ الْمَرْءِ فِي هَتْكِ عِرْضِهِ**
**وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْجُودِ لِلْعِرْضِ حَارِسًا.**

الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٧).

قال السفاريني رحمه الله ت: ١١٨٨هـ: وَإِنَّمَا يَحْسُنُ عَدَمُ السُّؤَالِ وَالتَّغَافُلُ وَغَضُّ الطَّرْفِ عَنْ الْعَوَارِ (إذَا لَمْ يَذُمَّهُ) أَيْ يَعِبْ وَيَشِنْ (الشَّرْعُ) ذَلِكَ وَإِلَّا وَجَبَ السُّؤَالُ وَالتَّفْتِيشُ، فَإِنَّ التَّغَافُلَ إنَّمَا يُمْدَحُ فِي أَمْرِ الْمَعَاشِ وَفِي الْمُسَامَحَةِ فِي كَلِمَةٍ، وَإِهْمَالِ أَدَبٍ مِنْ آدَابِ الزَّوْجَةِ مَعَ زَوْجِهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَأَمَّا فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالْعِرْضِ فَلَا يَحْسُنُ التَّغَافُلُ لَا سِيَّمَا عَنْ الْوَاجِبَاتِ. فَإِنَّك أَيُّهَا الْأَخُ فِي اللَّهِ إنْ فَعَلْت مَا أَمَرْتُك بِهِ مِنْ عَدَمِ السُّؤَالِ وَمِنْ غَضِّ الطَّرْفِ عَنْ الْعَوَارِ حَيْثُ لَمْ يَذُمَّهُ الشَّرْعُ (تُرْشَدْ) لِكُلِّ فِعْلٍ حَمِيدٍ وَتَسْعَدْ، وَتُوَفَّقْ لِلصَّوَابِ وَتُسَدَّدْ. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٣٩٨).

## قبل أن تعاتب، تعلم درساً في التغاضي،

إنك وحينما تنظر في سيرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، تدرك مراعاته لهذا الجانب في التعامل مع الآخرين، فلا ينتقم لنفسه، ولا يحمل في ثنايا فؤاده ما يدفعه إلى ذلك أو يدنس قلبه شيء من هذه القاذورات، وتأمل موقفه مع خادمه الصغير أنس بن مالك، وهو في ذلك العمر مظنّة للوقوع في التقصير والخطأ، ما قال له رسوله الله أف قط، ولا لشيء صنعه: لم صنعته، ولا لشيء تركه: لم تركته. (متفق عليه).

وفي عتاب الرجل لزوجته ينبغي أن يعلم أنه وإنْ أتت المرأة بما يوجب العتاب فلا يحسن بالزوج أنْ يكرِّر العتاب، وينبش عما انطوى ذكرُه وغاب، وينكأ الجراح مرَةً بعد مرَة؛ لأنّ ذلك يفضي إلى الشر والمضرة، وقد لا يبقي للمودة عينا ولا أثرًا، بل يورث الكراهية أعوامًا ودهرًا.

**وقالت الحكماء، أي عالم لا يهفو، وأي صارم لا ينبو، وأي جواد لا يكبو.**

وقالوا: من ابتغى صديقا يأمن زلته ويدوم اغتباطه به: كان كضال الطريق الذي لا يزداد لنفسه إتعابًا إلا ازداد من غايته بعدًا.

وقال بعض الحكماء: وجدت أكثر أمور الدنيا لا تجوز إلا بالتغافل.

وحكى الأصمعي عن أعرابي أنه قال: تناس مساويْ إخوانك يدم لك ودهم.

ووصى بعض الأدباء أخًا له، فقال: كن للود حافظًا وإن لم تجد محافظًا، وللخل واصلاً وإن لم تجد مواصلاً.

وروى البيهقي وغيره في «شعب الإيمان» أن يونس بن عبيد بن دينار أصيب بمصيبة، فقيل له: إن ابن عون لم يأتك، فقال: إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لا يضره أنه ليس يأتينا.

وقال بعض البلغاء: لا يُزهدنك عيب تحيط به في رجل حمدت سيرته، وارتضيت وتيرته، وعرفت فضله، وبطنت عقله.

وقد ذكر ابن ابراهيم الحمد في كتابه "الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة" ص/١٧ قال:

قال ابن الأثير متحدثا عن صلاح الدين الأيوبي: وكان رحمه الله حليمًا حسن الأخلاق، متواضعًا، صبورًا على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره، ولا يُعلمه بذلك، ولا يتغير عليه. وفي مرة كان جالسًا وعنده جماعة، فرمى بعض المماليك بعضًا بشيء فأخطأته، ووصلت إلى صلاح الدين ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى

يكلم جليسه؛ ليتغافل عنها. وكان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله كثير التغاضي عن كثير من الأمور في حق نفسه، وحينما يسأل عن ذلك كان يقول:

ليس الغبيّ بسيد في قومه
لكنّ سيد قومه المتغابي

وقد حفل القرآن والسنة والسيرة بالمواقف العظيمة في التغافل عن أخطاء الأصحاب والإخوة والأزواج.

وذلك مثل قولُه تعالى: (فَأَسَرَّها يُوسُفُ في نَفْسِه وَلَمْ يُبْدِها لَهُمْ) أيْ أسَرَّ في نفسه قولَهُمْ:" إنْ يَسْرِقْ فقدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ منْ قَبْلُ" قالَهُ ابْنُ شَجَرَةَ وابْنُ عيسَى. وقيل: إنَّهُ أسَرَّ في نفسه قوْلَهُ:" أنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً" ثُمَّ جَهَرَ فَقَال:" وَاللَّه أعْلَمُ بما تَصِفُونَ". تفسير القرطبي (٩/ ٢٣٩). وكذلك لما جمع الله شملهم واجتمعوا عند يوسف في مصر حمد الله وأثنى عليه وعدّد نعمه عليه، قال تعالى:" وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ". يوسف/١٠٠.

### قال القرطبي رحمه الله في تفسيره:

قَوْلُهُ تعَالى: (وَقَدْ أحْسَنَ بِي إذْ أَخْرَجَنِي من السِّجْنِ) وَلَمْ يَقُلْ من الْجُبِّ استعمالًا للكرم، لئلّا يُذكرَ إخوتَهُ صنيعَهُمْ بَعْدَ عفوه عَنْهُمْ بقوْله:" لا تَثْريبَ عليْكُمْ". قُلْتُ: وَهَذا هُوَ الأصْل عنْدَ مَشايِخ الصُّوفيَّة: ذكْرُ الجفا في وَقْت الصَّفا جفا. وَهُوَ قَوْلٌ صَحيحٌ دل عليه الكتاب. (٩/ ٢٦٧).

### وقال أبو حيان الأندلسي في كتابه "البحر المحيط في التفسير":

ذكَرَ يوسُفُ عليه السلام إخْرَاجَهُ من السِّجْنِ وعَدَلَ عَنْ إخْرَاجه من الْجُبِّ صَفْحًا عَنْ ذكْر ما تَعلّق بقَوْل إخْوَته، وتَنَاسِيًا لما جَرَى منْهُمْ إذْ قَال:"لا تَثْريبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفرُ اللّه لَكُمْ" وَتَنْبيهًا على طَهَارَة نَفْسه، وبَرَاءتَهَا ممَّا نُسبَ إلَيْه من الْمُرَاودَة. وعَلَى مَا تَنقَّل إلَيْه منَ الرِّيَاسَة في الدُّنْيَا بَعْدَ خُرُوجه منَ السِّجْن بخلاف مَا تَنَقَّلَ إلَيْه بالْخُرُوج منَ الْجُبِّ، إلَى أنْ بيعَ مَعَ الْعَبيد. (٦/ ٣٢٨).

### قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وَقَوْلُ يُوسُفَ لأبيه واخْوَته: «هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ» (يوسف: ١٠٠) وَلَمْ يَقُلْ: أخْرَجَني من الْجُبِّ، حفْظًا للأُدَب مَعَ إخْوته. وتَفتّيًا عليْهمْ: أنْ لا يُخْجلَهُمْ بما جَرَى في الْجُبِّ. وقَال «وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ» يوسف: ١٠٠) وَلَمْ يَقُلْ: رَفَعَ عَنْكُمْ جُهْدَ الْجُوع والْحَاجَة. أدبًا معهُمْ. وأضاف ما جرى إلَى السَّبَب. ولَمْ يُضفْهُ إلى المباشر الَّذي هُوَ أقْرَبُ إلَيْه منْهُ. فقال: «مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي» (يوسف: ١٠٠) فأعْطى الْفُتُوَّة والْكَرَم والأدَبَ حقَّهُ. ولهذا لم يكُنْ كَمَالُ هَذا الْخُلُق إلَّا للرُّسُل والأنْبيَاء صلوات اللّه وَسَلَامُهُ عَلَيْهمْ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٦٠).

وفي فعل رسولنا صلى الله عليه وسلم مما أورده القرآن ما يدل على هذا الخلق العظيم (الإعراض عن الزلة والتغافل عنها).

قال تعالى:"وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ".( التحريم/٣).

قال ابو حيان الأندلسي: "عَرَّفَ" بشَدِّ الرَّاء، وَالْمَعْنَى: أَعْلَمَ به وَأنَّبَ عَلَيْه. أيْ جازى بالْعَتَب وَاللَّوْم، وَقيل: إنَّهُ طلَّقَ حَفْصَةَ وَأمَرَ بمُرَاجَعَتهَا. وَقيل: عَاتَبَهَا وَلَمْ يُطلِّقْهَا.

"وَأعْرَضَ عَنْ بَعْض": أيْ تكرُّمًا وَحَيَاءً وَحُسْنَ عِشْرَة. قَال الْحَسَنُ: مَا اسْتَقْصَى كَريمٌ قطّ. وَقَال سُفْيَانُ: مَا زَال التَّغَافُل منْ فعْل الْكرَام...ولما أفشت حفصة الحديث لعائشة واكْتَتَمَتْهَا إيَّاهُ، ونَبَّأهَا الرَّسُولُ الله صلّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ به، ظَنَّتْ أنَّ عائشة فَضَحَتْهَا فقالتْ: منْ أنْبَأكَ هذا على سبيل التَّثَبُّت، فَأخْبَرَهَا أنَّ الله هُوَ الَّذي نَبَّأهُ به، فَسَكَنَتْ وَسَلَّمَتْ. البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٢٠٧). وللحديث بقية إن شاء الله.

# قصة المائدة التي نزلت من السماء وأكل منها النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع إلياس عليه السلام

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:**

**فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:**

إعداد **الشيخ علي حشيش**

### أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١) وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية -كما سنبين من التخريج- يجعل مَن لا دراية له بالتحقيق وعلل الحديث يتوهم أن هذه القصة صحيحة.

٢) تحقيق الغاية من هذه السلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية» لتعم الفائدة:

أ) فالقارئ الكريم: يقف على درجة القصة.

ب) والداعية: يكون على حذر، ويسلم له عمله على السنة وحدها.

ج) وطالب هذا الفنّ: يجد نماذج من علم الحديث التطبيقي.

٣) من أجل هذا سنطبّق من خلال تخريج وتحقيق هذه القصة هذه القاعدة التي ذكرها الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» ص (٢٤) مبينًا حقيقة «المستدرك على الصحيحين» للحاكم فقال: «في هذا الكتاب أنواع من الأحاديث، فيه الصحيح المستدرك وهو قليل، وفيه صحيح قد أخرجه البخاري ومسلم أو أحدهما لم يعلم به الحاكم، وفيه الحسن، والضعيف والموضوع». اهـ.

قلت: ولا تعجب من قول الحافظ ابن كثير عن «مستدرك الحاكم»: «فيه الموضوع». اهـ. فقد قال الإمام الذهبي في «الميزان»

(٧٨٠٤/٦٠٨/٣): «أبو عبد الله الحاكم النيسابوري يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة، ويكثر من ذلك؛ فما أدري هل خفيت عليه فما هو ممن يجهل ذلك، وان علم فهذه خيانة عظيمة».

وان تعجب فعجب أن كثيرًا من الوعاظ والقصاص والدعاة، بل بعض أصحاب الرسائل العلمية غرَّهم قول الحاكم في «المستدرك»: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». اهـ.

فيقول: «أخرجه الحاكم وصححه». اهـ.

يظن أنه قد أدى ما عليه ولكن هيهات هيهات لما ذكرناه آنفًا من قول الإمام الذهبي: «أن الحاكم يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة». اهـ.

وهنا يقتضي تحقيق ما يصححه الحاكم في مستدركه.

وهذه القصة ستكون نموذجًا لعلم الحديث التطبيقي لما ذكرناه.

### ثانيا: متن القصة:

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلاً، فإذا رجل في الوادي يقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفورة المستجاب لها، قال: فأشرفت على الوادي فإذا رجل طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع، فقال لي: من أنت؟ قال: قلت: أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أين هو؟ قلت: هو ذا يسمع كلامك، قال: فأتِه وأقرأه مني السلام، وقل له: أخوك إلياس يقرئك السلام، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فجاء حتى لقيه فعانقه وسلم عليه ثم قعدا يتحدثان، فقال له: يا رسول الله، إني إنما آكل في كل سنة يومًا، وهذا يوم فطري فآكل أنا وأنت، فنزلت عليهما مائدة من السماء، عليها خبز وحوت وكرفس، فأكلا وأطعماني وصلينا العصر، ثم ودَّعه، ثم رأيته مر على السحاب نحو السماء.

### ثالثا: التخريج:

١) أخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة (٤٠٥هـ) في «المستدرك» (٦١٧/٢)، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن سعيد المعداني ببخارى، حدثنا عبد الله بن محمود، حدثنا عبد الله بن سيار، حدثنا أحمد بن عبد الله البرقي، حدثنا يزيد بن يزيد البلوي، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأوزاعي، عن مكحول، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر.... القصة».

٢) أخرجها الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ) في

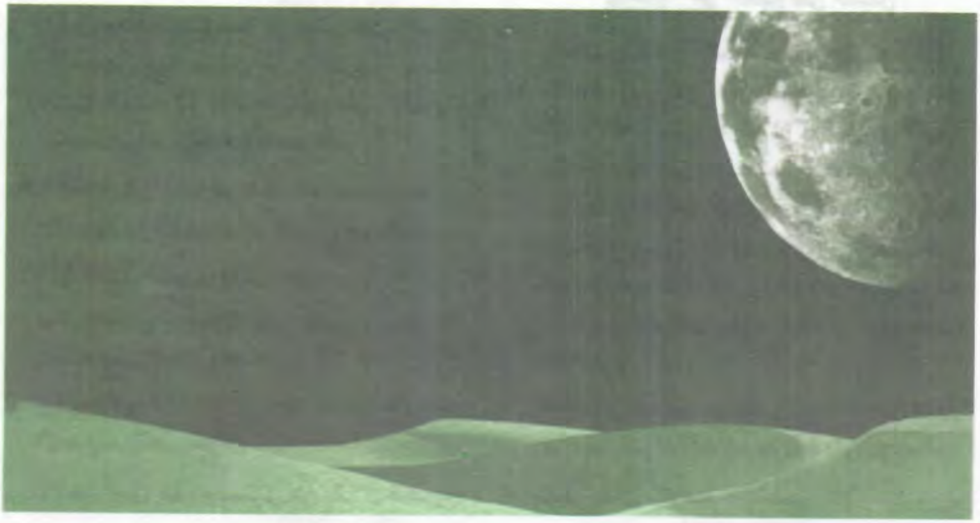

«دلائل النبوة» (٤٢١/٥) عن شيخه: أبي عبد الله الحاكم فقال: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن سعيد به».

### رابعا: التحقيق:

١) هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة وأخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم في «المستدرك» قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». اهـ.

٢) تعقبه الإمام الذهبي في «التلخيص-٦١٧/٢ مستدرك» وقال: «بل هو موضوع، قبّح الله من وضعه، وما كنت أحسب ولا أجوّز أن الجهل يبلغ بالحاكم أن يصحح هذا وإسناده».

٣) ثم بيّن الإمام الذهبي علة هذا الحديث الموضوع، الذي قبح الله من وضعه فقال: «إن الذي افترى هذا الخبر إما يزيد البلوي افتراه وإما ابن سيار». اهـ.

٤) أما ابن سيار فقد قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٣٣٣/٦٨٥/٢): «عبدان بن سيار، روى عن أحمد بن البرقي خبرًا موضوعًا لا أعرفه». اهـ.

قلت: وهذا الخبر الموضوع هو هذه القصة المفتراة التي أخرجها الحاكم في «المستدرك» وقال عن خبرها: «موضوع قبح الله من وضعه». وهذا ما بيّنه الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (١١١/٤) (٥٣٨٥/١٩٣٤) فقال: «عبدان بن سيار: عن أحمد البرقي خبرًا موضوعًا لا أعرفه. انتهى». ثم قال: والخبر المذكور أورده الحاكم في المستدرك من طريق يزيد بن يزيد البلوي وسيأتي في ترجمته قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: «آفته البلوي أو عبدان». اهـ.

٥) وأما يزيد بن يزيد البلوي فقد قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٧٦٣/٤٤١/٤): «يزيد بن يزيد البلوي عن أبي إسحاق الفزاري بحديث باطل خرجه الحاكم في مستدركه فقال: حدثنا أحمد بن سعيد ببخارى، حدثنا عبد الله بن محمود... ثم ذكر السند ثم المتن، ثم قال الإمام الذهبي: فما استحيى الحاكم من الله يصحح مثل هذا». اهـ.

٦) ولقد أقر هذا الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣٦١/٦) (٩٢٩٣/٢١٩) فنقل ما ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» وأقر قوله: يزيد البلوي عن أبي إسحاق الفزاري بحديث باطل. ثم نقل قول الإمام الذهبي: «فما استحيى الحاكم من الله يصحح مثل هذا». وأقره. ثم قال الحافظ ابن حجر: «وقال- أي الذهبي- في تلخيص المستدرك»: «وهذا موضوع قبح الله من وضعه وما كنت أحسب أن الجهل يبلغ بالحاكم إلى أن يصحح هذا». اهـ. وأقره، ثم قال: «وهذا مما افتراه يزيد البلوي». اهـ

### خامسا: الاستنتاج:

١) نستنتج من هذا التحقيق: أن القصة واهية وسندها باطل.

٢) كذلك يتبين أن الحاكم يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة، وهذا ما قاله الإمام الذهبي وكذلك الحافظ ابن كثير، وهذا نموذج من علم الحديث التطبيقي لأقوال علماء الصناعة الحديثية.

٣) وفي نقد الإمام الذهبي للمتن وبيان بطلانه كما في قوله: «جاء بخبر باطل» وقوله: «موضوع قبّح الله من وضعه». وقوله: «فما استحيى الحاكم من الله مثل هذا»..

أكبر رد على المستشرقين: وغيرهم ممن لا دراية لهم بهذا العلم حيث ادعوا زورًا وبهتانًا بأن علماء الحديث اهتموا بالسند دون المتن، ليتخذوا من هذا البهتان خنجرًا مسمومًا يطعنون به في الصحيحين، ولجهل هؤلاء الطاعنين بعلماء الجرح والتعديل ومناهجهم أشاعوا الزور والبهتان، وانطلى على كثير ممن لا دراية لهم بهذا العلم.

وهذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

# درر البحار
## في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد / الشيخ علي حشيش

**(٩٧٠) «من حدث بحديث فعطس عنده فهو حق».**

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (ص ١/٦٧) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧).

والحديث أخرجه الإمام الحافظ أبو يعلى في «مسنده» (٢٣٤/١١) ح (٦٣٥٢) قال: «حدثنا داود بن رشيد، حدثنا بقية، عن معاوية بن يحيى، عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا». وإلى القارئ الكريم التحقيق:

١) هذا الحديث غريب: حيث أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٣/٧) ح (٦٥٠٥) وقال: «حدثنا محمد بن رزيق بن جامع، قال: حدثنا عبده بن عبد الرحيم المروزي، قال: حدثنا بقية بن الوليد، قال: حدثنا معاوية بن يحيى، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعًا». ثم قال: «لم يرو هذا الحديث عن أبي الزناد إلا معاوية بن يحيى، تفرد به بقية، ولا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد».

٢) وأورد هذا الحديث الإمام الذهبي في الميزان (١٤٠/٤) من رواية أبي يعلى وجعله من مناكير معاوية بن يحيى، وقال: «لعل معاوية هذا في الحديث هو الصدفي، وحديث العطسة قال الطبراني: لا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد».

٣) ولقد نقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٩٧/١٠) أقوال الأئمة التي تبين درجة ضعف معاوية هذا: قال يحيى بن معين: هالك ليس بشيء، وقال الجوزجاني: ذاهب الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف في أحاديثه إنكار، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الساجي: ضعيف الحديث جدًا، وقال الحاكم أبو أحمد: «يروي عنه العقل بن زياد عن الزهري أحاديث منكرة شبيهة بالموضوعة».

٤) لذلك قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٣٤٢/٢) ح (٣٤٢/٢) ح (٢٥٥٢): «سألت أبي عن حديث رواه داود بن رشيد عن بقية...». أي حديث أبي يعلى في «العطسة» الذي خرجناه آنفًا؟

فقال أبي: «هذا حديث كذب». اهـ.

٥) وعلة أخرى: بقية بن الوليد قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١٢٥٠/٣٣١/١): «قال أبو حاتم: لا يُحتج به، وقال أبو مسهر: أحاديث بقية ليست نقية، فكن منها على تقية». اهـ. وذلك لأنه يدلس تدليس التسوية.

### فائدة في نقد المتن للإمام ابن القيم:

قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» فصل (٦): «ونحن ننبه على أمور كلية يُعرف بها كون الحديث موضوعًا، ومنها: (٢) تكذيب الحسّ للحديث: كحديث «إذا عطس الرجل عند الحديث فهو دليل صدقه». وهذا -وإن صحح بعض الناس سنده- فالحس يشهد بوضعه؛ لأنا نشاهد العطاس والكذب يعمل عمله ولو عطس مائة ألف رجل عند حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم بصحته بالعطاس، ولو عطسوا عند شهادة زور لم تصدق». اهـ.

قلت: «وهذا رد على مزاعم المستشرق «شاخت»: ما دعاه - جهلاً وبهتانًا- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي، وهو نقد المتن».

## نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة

# معتقد أبي الحسن الأشعري في ضوء ما سطره في كتابه: (الإبانة)

أبو الحسن الأشعري ينهج في (الإبانة) نهج النبي وصحابته، ويسير - إقرارا واستهجانا - حذو القذة بالقذة على خطا التابعين لهم من أئمة أهل السنة في جميع مسائل الاعتقاد.. خلافا لمن يدَّعون شرف الانتساب إليه ممن نبذوا عن عمد مذهبه

إعداد
أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول لله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فلقد أثبت الأشعري في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) آخر تآليفه، ما سبق أن أثبته في كتابيه: (رسالة إلى أهل الثغر) و(مقالات الإسلاميين)، فأكد أن الله استوى على العرش استواء حقيقيًا يليق بجلاله وبلا كيف، وأن عرشه فوق سماواته، كما أثبت له سائر صفاته الخبرية والفعلية، وأبطل قول المعتزلة والجهمية والخوارج في تأويلهم (الاستواء) بـ(الاستيلاء)، و(اليد) بـ(القدرة والنعمة)، و(الوجه) بـ(الذات)، و(العين) بـ(العلم) إلى آخر ذلك.. بما يعني ضمنًا إبطاله لما يعتقده من جنح إلى قولهم، من: متأخري الأشاعرة وإلى يوم الناس هذا.

### أولا: إقرار الأشعري بجميع الصفات بلا تشبيه ولا تعطيل من خلال كتابه (الإبانة):

وقد جاء إثباته لصفة الاستواء وفق معتقد أهل السنة، من وجهين:

أحدهما: دليل الفطرة:

وذلك قوله ص٨٣: «ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دَعَوا نحو السماء؛ لأن الله مستوٍ على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحَطونها إذا دَعَوا، إلى الأرض».

وكان قد ذكر في (الإبانة) وتحت عنوان: (ذكر الاستواء على العرش) ما حكاه القرآن عن فرعون وقوله لرئيس وزرائه: «يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ (٣٦) أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا» (غافر:٣٦، ٣٧)، وعلق يقول: «فكذَّب فرعونُ موسى عليه السلام في قوله: (إن الله سبحانه فوق السماوات)»، كذا بما يعني: أن فرعون فهم بفطرته من موسى أنه يدعوه بموجب هذه الفطرة، إلى عبادة الله الذي له العلو والفوقية وفي السماء عرشه.

ويقول ص٨٦: «ومن دعاء أهل الإسلام جميعًا إذا هم رغبوا إلى الله في الأمر

النازل بهم، يرفعون أيديهم إلى السماء، ومن حلفهم جميعًا: (لا والذي احتجب بسبع سماوات). وقد روت العلماء قصة المرأة التي أراد (معاوية بن الحكم) أن يعتقها في كفارة، فقال لها صلى الله عليه وسلم: (أين الله؟). قالت: في السماء، قال: (فمن أنا)؟ قالت: أنت رسول الله فقال: (اعتقها فإنها مؤمنة)».

ثم طفق الأشعري يبين معنى كونه تعالى على العرش لينفي عنه سبحانه التشبيه، وينزّهه عن الجهة والمكان بمعناهما الوجودي، ويقول: «لما كان العرش فوق السماوات قال: « أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ) (الملك:١٦، ١٧)، لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء والعرش فوق جميع السماوات، وليس إذا قال: « أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ »، يعني: جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات.. ألا ترى الله حين قال: « وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا » (نوح:١٦): لم يُرد أن القمر يملأهن جميعًا وأنه فيهن جميعًا».

## ثانيهما: أدلة العقل والنقل:

ومن غير دليل الفطرة السالف ذكره، جعل الأشعري يسرد المزيد من الأدلة النقلية والعقلية على ما سلمت به الفطرة السليمة، ويقيم الحجج على من اعتقد الحدوث أو أنه بذاته في كل مكان، قائلاً: «إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟. قيل له: نقول إن الله يستوي على عرشه استواء يليق به، كما قال: «ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ » (طه:٥)، وقد قال تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب» (فاطر:١٠)، وقال: « يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ » (السجدة:٥)».. قال:

«ومما يؤكد أن الله مستو على عرشه دون الأشياء كلها: ما نقله أهل الرواية فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر)، وقوله: (إذا بقي ثلث الليل، ينزل الله تبارك وتعالى فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستكشف الضر فأكشف عنه؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه؟ حتى ينبلج الفجر).. نزولا يليق بذاته من غير حركة وانتقال، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

دليل آخر: هو قوله تعالى: « يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ » (النحل:٥٠)، وقوله: « تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ » (المعارج:٤)، وقوله: « ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ» (فصلت:١١)، وقوله: «ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ » (الأعراف:٥٤).

دليل آخر: هو قوله تعالى لعيسى عليه السلام: «إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ » (آل عمران:٥٥)، وقال: «وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ» (النساء:١٥٧، ١٥٨)، وقد أجمعت الأمة على أن الله سبحانه رفع عيسى إلى السماء».

ومن اللافت للنظر ما نلحظه على الأشعري وهو ينسب ما ذكره أصحاب الحديث وأهل السنة لنفسه صراحة، على اعتبار أنه واحدٌ منهم، وذلك قوله: «فإن قال لنا قائل: (قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرِّفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون)، قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين به: التمسك بكتاب الله ربِّنا وبسنة نبينا وما رُوي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أحمد بن حنبل قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون.. وأن الله استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحمَلته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربًا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد».

وكلامًا في تأكيد ما سبق مدعومًا بأدلة النقل والعقل، يسوقه الأشعري في أول كتابه (الإبانة)، قائلاً: «جملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأن الله استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده.. وأن له سبحانه وجهًا بلا كيف كما قال:

«وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» (الرحمن:٢٧)، وأن له يدين بلا كيف كما قال: «خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» (ص:٧٥)، وكما قال: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» (المائدة:٦٤)، وأن له سبحانه عينين بلا كيف كما قال: «تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا» (القمر: ١٤)».

وكان مما قاله ص٥٣: «نصدق بجميع الروايات التي يُثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا، وأن الربّ يقول: (هل من سائل؟، هل من مستغفر؟)، ونصدق بسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافًا لما قاله أهل الزيغ والتضليل، ونقول: إنه عز جل يجئ يوم القيامة كما قال: «وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» (الفجر:٢٢)، وأنه يقرب من عباده كيف يشاء بلا كيف كما قال: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» (ق:١٦)».

إلى أن قال ص٨٥ بعد أن دحض أدلة من تأول (الاستواء) بـ(الاستيلاء) وذكر الأدلة المثبتة لهذه الصفة: «فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته، مستو على عرشه استواء منزهًا عن الحلول والاتحاد».

**ثانيًا: استهجان الأشعري لتأويلات المعتزلة والجهمية والشيعة والخوارج، ومن تبعهم من متأخري الأشاعرة**

وعلى نحو ما جاء إثبات أبي الحسن الأشعري لصفات الخالق، وذلك فيما نطق به بصريح العبارة.. جاء الإنكار منه على نفيها بتأويل أو تعطيل، أيضا بصريحها.. فقد أنكر على من تأوّل (النزول)، وأنكر على من تأوّل (الفوقية)، وأنكر على من تأوّل (اليد والعين)، وأنكر على من تأوّل (المجيء والإتيان)، وأنكر على من تأوّل (الوجه) بالذات.. كما شدد النكير في غير ما مرة على من تأوّل (الاستواء) بالاستيلاء أو القهر أو القدرة، وجاء كل ذلك منه بأدلة النقل والعقل..

ومن ذلك قوله في الإبانة ص٨٣: «وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قوله تعالى: «الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ» (طه:٥)، أنه (استولى) و(ملك) و(قهر) و(أن الله في كل مكان)، وجحدوا أن يكون الله مستو على عرشه كما قال أهل الحق.. وذهبوا في (الاستواء) إلى: (القدرة)، ولو كان هذا كما ذكروه لما كان هناك فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء.. ولو كان الله مستويًا على العرش بمعنى: (الاستيلاء)، لكان مستويًا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار، لأنه مستول عليها.. وإذ لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: (إن الله مستو على الحشوش والأخلية)، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش لعظمته دون الأشياء كلها».

قال: «وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.. ويقال لهم: إذا لم يكن مستويًا على العرش بمعنىً يخص العرش دون غيره - كما قال ذلك أهل العلم ونقلة الأخبار وحملة الآثار - وكان الله في كل مكان، فهو تحت الأرض التي السماء فوقها، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض، وفي هذا ما يلزمكم أن تقولوا لأجله: إن الله تحت التحت والأشياء فوقه، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته، وفي هذا ما يستلزم أنه تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته، وهذا هو المحال والمتناقض».

إلى أن قال بعد أن استدل على الاستواء بحديث النزول: إنه تعالى ينزل «نزولاً يليق بذاته من غير حركة وانتقال، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا»، فنفى بعباراته البسيطة السهلة تلك كل معاني التجسيم والتشبيه والتكييف والتعطيل، كما رد بها - لله دره - فرَى من ينتسبون إليه ممن لا يدينون بمذهبه ولا يقولون بقوله.. وبما سبق يُعلم إثبات الأشعري لجميع الصفات بلا تفويض ولا تأويل ولا تشبيه ولا تجسيم ولا صرف لها عن ظاهرها، وقد سبق أن ذكرنا كلامه المفصل في نفي الجسمية عن صفات الله تعالى الخبرية، وذلك إبان حديثنا عنها.. فيا ليت قومي - بالأزهر وبسائر معاهد العلم - يعلمون.

### ثالثًا: الأشعري مع إقامته لقرائن اللغة على إثبات الصفات ونفي المجاز عنها.. يرد الشبهات:

وكان مما استنكره الأشعري بشدة على المتأولة، تأويلهم (اليد) بـ(النعمة) حيث قال ص٩٠ما نصه: «وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: (عملت كذا بيديَّ)، ويعني به: (النعمة)، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهومًا في كلامها ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: (فعلت بيدي) ويعني: (النعمة)، بطل أن يكون معنى قوله تعالى: « بِيَدَيَّ » (ص:٧٥): (النعمة)، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: (لي عليه يديَّ)، بمعنى: (لي عليه نعمتيَّ).. لأنه إن روجع في تفسير قوله تعالى: «بيَديَّ» بـ «نعمتيَّ» إلى الإجماع، فليس المسلمون على ما ادَّعى متفقين، وان روجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: (بيديَّ) يعني (نعمتيَّ)، وان لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه ولن يجد له سبيلاً.. وأيضًا: لو كان الله تعالى عنى بقوله: (بيديَّ): القدرة، لما كان لآدم عليه السلام على إبليس مزية في ذلك، ولقال إبليس محتجًا على ربه: فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم».

وفي رده لشبهات النافين لصفة (اليد) يقول رحمه الله: «وقد اعتل معتل بقوله تعالى: (والسماء بنيناها بأيد) (الذاريات: ٤٧)، قيل له: إن (الأيد) ليس جمعًا لـ(اليد)، لأن (جمع يد: أيدي)، وجمع (اليد) التي هي النعمة: (أيادي) فبطل أن يكون معنى (بيديَّ) معنى: (بَنيْنَاها بأيْدِ)» بل وتعين أن تكون الأخيرة وبمقتضى اللغة، بمعنى: القوة.

ثم قال رحمه الله: «فإن قال قائل: إذا ذكر الله (الأيدي) - يعني: في قوله تعالى: «مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ) (يس: ٧١) - وأراد (يدين)، فما أنكرتم أن يذكر (الأيدي) ويريد (يدًا) واحدة؟، قيل له: ذكر تعالى (أيدي) وأراد (يدين)، لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال: (أيدي كثيرة) وقول من قال: (يدًا واحدة)، فقلنا: (يدان)؛ لأن القرآن على ظاهره، إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر.. فإن قال قائل: ما أنكرتم أن يكون قوله تعالى: «عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ) (يس: ٧١) وقوله تعالى: «لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ) (ص: ٧٥) على المجاز؟، قيل له: حكم الله أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة».

ويتابع الأشعري رده قائلاً: «ولو جاز ذلك، لجاز لمدع أن يدَّعي أن ما ظاهره العموم فهو على الخصوص وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة، وإذا لم يجز هذا لمدعيه بغير برهان، لم يجز لكم ما ادعيتموه أنه مجاز أن يكون مجازًا بغير حجة، بل واجب أن يكون قوله تعالى: «لما خلقت بيدي» إثبات يدين لله في الحقيقة غير نعمتين إذا كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم: (فعلت بيدي)، وهو يعني النعمتين» ا.هـ.

وكان مما قاله الأشعري في الإبانة ص٨٨ «ونفى الجهمية أن يكون لله تعالى وجه»، في إشارة منه إلى تشابه من يفعل ذلك أيًا ما كان، بمن ينكر سمع الله وبصره وعلمه وقدرته، وإشارة منه كذلك إلى تشابه من ينكر صفاته تعالى ويعطلها بزعم تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث، بالمجسمة والمشبهة الذين لم يتصوروا في صفات الله إلا ما يكون منها للمخلوقين.

واستطرد رحمه الله يرد شبهات أولئك المبتدعة من المتكلمة ومدعي الانتساب إليه ممن أولوا الوجه بالذات قائلاً: «فمن سألناه فقال: أتقولون إن لله سبحانه وجهًا؟، قيل له: نقول ذلك، خلافًا لما قاله المبتدعون، وقد دل على ذلك قوله تعالى: «وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ) (الرحمن:٢٧)».. والعلة في إثبات ذلك وغيره - على ما أفادته عبارته - دلالة العقل والنقل وكذا اللغة كون الوصف للوجه، وحجية صريح القرآن وصحيح السنة وثبوت الإجماع على حمل (الوجه) وكذا جميع الصفات على الوجه اللائق به سبحانه دون ما تأويل أو تعطيل، أو تفويض أو تكييف، أو تشبيه أو تجسيم..

**والحمد لله رب العالمين**

# أمنيات الأحياء وأمنيات الأموات

الحمد لله، الحمد لله تم نورك ربّنا فهديت فلك الحمد، وعَظُم حلمُك فعفوت فلكَ الحمدُ، أحمدُك سبحانك وأشكرك، تُنجي من الكروب، وتَغفر الذّنوبَ، وتقبَل توبةَ مَنْ يتوب، وأشهد ألاّ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، تبارَك اسمُه، وتعالى جَدُّه، ولا إلهَ غيرُه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبدُ اللهِ ورسولُه، خليلُه ومصطفاه، وأمينه على وحيه ومجتباه، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وسار على نهجه واتبع هداه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا مزيدًا، لا حد لمنتهاه. أما بعدُ، فأوصيكم-أيها الناسُ- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا اللهَ-رحمكم الله-، لا تحزنوا على ما فات، ولا تحملوا همَّ ما لم ينزل، ولا تمدُّوا أعينَكم إلى ما لا تملكون، ومن أبصَر عيبَ نفسه شغَلَه عن عيب غيره، صِلُوا مَنْ قطعَكم، وأَعطُوا مَنْ حرَمَكم، واعفُوا عمَّنْ ظلَمَكم، وأدوا الأمانة لمن ائتمنكم، ولا تخونوا من خانكم، وأحسنوا إلى من أساء إليكم؛ ( يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ) (الحشر: ١٨).

إعداد **د. صالح بن عبد الله بن حميد**

**خطيب المسجد الحرام**

### من أشد المواقف على الإنسان موقف الاحتضار

أيها المسلمون: يقول بعضُ أهل العلم: إنَّ من أعظم المواقف الواعظة إفاقةَ المُحتضَر عندَ موته فقد قالوا: إنَّه ينتبه انتباهًا لا يُوصَف، ويَقلق قلقًا لا يُحدّ، ويتلهَّف على ما مضى من زمانه، ويتمنَّى لو تُرِكَ ليرجعَ ويتداركَ ما فاته، ويَصْدّق في توبته؛ لأنَّه يعاني من الموت ما يعاني، ويكاد يقتُل نفسَه أسفًا وحسرةً.

معاشرَ الإخوة، الموتى انتهَتْ فُرَصُهم في الحياة، وقد عايَنُوا الآخرة، عرفوا ما لهم وما عليهم، أدرَكُوا أنهم كانوا في نعم، فهل حفظوها؟ وفي أوقات فهل أحسَنُوا العملَ فيها؟ وأي حسرة، وأيُّ ندامة هم الآنَ فيها؟ كانوا يعيشون بين الورى فأصبحوا تحت الثَّرَى، كانوا في الوجود ثم صاروا إلى اللُّحُود، صاروا رهائنَ أعمالهم لا يُطلَقون، وغرباءَ سفرٍ لا يعودون.

### التأمل في حال الدنيا

معاشرَ الأحبة: هذه هي حالُ الدنيا، وهذه حالُ أهلها، وحالُ مَنْ فارَقَها، ولكن ها هنا وقفةٌ مع مسألة عجيبة، وحال غريبة، بُسطت في الكتاب والسُّنَّة، مسألة تتحدَّث عن مواقف لهؤلاء الأموات فيها العظة، والعبرة، والدرس، بل فيها المبادرة

والمسارعة لمن وفقه الله وأعانه؛ نعم-حفظكم الله- الأموات انتقلوا من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، عاينوا الجنة، وشاهدوا النار، رأوا ملائكة الله، وعرفوا حقيقة الدنيا، وحقيقة الآخرة، وأيقنوا-وهم في البرزخ- أنهم سيبعثون ليوم عظيم، يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين، اقرؤوا كتاب ربكم، وانظروا في سُنَّة نبيكم محمد-صلى الله عليه وسلم-؛ لتعرفوا هذه المسألة، وتتعرفوا على هذه القضية؛ إنها أمنيات الموتى.

## المقارنة بين أمنيات الأحياء وأمنيات الموتى

عباد الله؛ كل الموتى يتمنون لو رجعوا إلى الدنيا، الصالحون وغير الصالحين، أمَّا الصالحون فيتمنون المزيد من العمل الصالح؛ لما يرون من الكرامات، والدرجات، وعظيم النعيم، وأمَّا المقصّرون فيتمنون الرجوع ليستدركوا ويستعتبوا.

أيها الإخوة؛ وقبل الحديث عمَّا يتمناه الموتى هذه إشارة إلى بعض أماني الأحياء؛ إذ بالمقارنة تظهر الحقيقة، فالفقير في الدنيا يتمنى الغنى، والغنيُّ يتمنى من المال مزيدًا، ومن العمر مديدًا، والغريب يتمنى العودة إلى أهله، والمريض يتمنى الشفاء والعافية، والعقيم يتمنى الولد، والأعزبُ يتمنى الزواج، أمنياتهم في وظيفة مرموقة، وزوجة جميلة، ومركب هنيء، وبيت واسع، ومكانة اجتماعيَّة، ومزيد من المال والعقار، والسفر والتنقل، ومزيد من البهجة والانبساط، وهكذا هم أهل الدنيا؛ المقل لا يقنع، والغني لا يشبع، والأماني لا تنقطع.

عباد الله؛ أمَّا الموتى-رحمنا الله وإياهم، وعفا عنَّا وعنهم- فمنهم الصالحون، ومنهم المقصّرون؛ روى الترمذي في جامعه عن أبي هريرة-رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "ما من أحد يموت إلا ندم، قالوا: وما ندامته يا رسول الله قال: إن كان محسنًا ندم ألا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا ندم ألا يكون نزع".

أمَّا الصالحون-جعلنا الله وإياكم منهم- فأولى الأمنيات حين تحمل الجنازة على الأعناق فيقول الرجل الصالح: عجلوني عجلوني، قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها! أين يذهبون بها؟ أخروني أخروني، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق، من صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-.

معاشر الإخوة؛ إنَّ الصالح حين يدخل قبره ويرى نعيم القبر، وسعته ونوره، وانشراحه يتمنى أن يعجل الله قيام الساعة، وقد قال صاحب يس فيما ذكر الله عنه: ( قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ) (يس: ٢٦-٢٧).

أمَّا الشهيد فمع عظم منزلته العالية، وما أعدَّ الله له في الجنان من أعالي الدرجات، فإنه يتمنى أن يعود إلى الدنيا ليواصل الجهاد في سبيل الله، فيقاتل ويقتل عشرات المرات، يقول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة»(رواه البخاري من حديث أنس-رضي الله عنه-).

أمَّا المقصّرون فلهم أمنياتهم، وقد قال الله-عز وجل- فيهم: (قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ) (المؤمنون: ٩٩-١٠٠)، وقال عز شأنه: (رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ) (السجدة: ١٢)، وقال سبحانه: (يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ) (الفجر: ٢٤)، وقال عز شأنه: (لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ) (الزمر: ٥٨)، مر رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بقبر فقال: «من صاحب هذا القبر؟ فقالوا: فلان. فقال عليه الصلاة والسلام: ركعتان أحب إلى هذا من بقية دنياكم»، وفي رواية: «ركعتان خفيفتان تحقرون وتنفلون يزيدها هذا في عمله أحب إليه من بقية دنياكم»(رواه الطبراني في الأوسط، من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- وصححه الألباني).

وآخر يتمنى الرجوع ليقدم صدقة لله-عز وجل-، وفي التنزيل العزيز: ( وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ) (المنافقون: ١٠)، يقول الحافظ ابن رجب-رحمه الله-: «إنَّ غاية أمنية الموتى في قبورهم حياة ساعة يستدركون بها ما فاتهم من توبة، وعمل صالح، وأهل الدنيا يفرطون في حياتهم وتذهب أعمارهم في الغفلة ضياعًا، ومنهم من يقطعها في المعاصي» عياذا بالله.

أيها المسلمون؛ وهناك أموات تجري عليهم أجورهم وهم في قبورهم، ففي الحديث عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به بعده، أو ولد صالح يدعو له»(رواه مسلم)، «ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن

سَنَّ في الإسلام سنةً سيئةً فعليها وزرُها ووزرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يوم القيامة»(رواه مسلم من حديث جرير بن عبد الله-رضي الله عنه-).

أيها المسلمون: ويا حسرةَ مَنْ مات ولم تَمُتْ ذنوبُه معه، فهو يتمنّى العودةَ إلى الدنيا ليتخلصَ ممّا اقترفته يداه، ليس البكاءُ على النفس إذا ماتت، ولكنَّ البكاءَ على التوبة إذا فاتت.

معاشرَ الإخوة: إنَّ الأموات لا يحتاجون إلا أن يُلتزم فيهم هديُ محمد-صلى الله عليه وسلم-؛ فقدّموا لهم ما أَذِنَ الشرعُ فيه، من الدعاء، والصدقة، وقضاء الديون، والحج، والعمرة، وغيرها.

### الحث على اغتنام الحياة قبل الممات

عبادَ الله: وإذا كان ذلك كذلك فلا تزال أرواحُكم في أجسادكم، فاستكثروا من الطاعات، وجِدُّوا في عمل الصالحات، واحذروا السيئات، ها أنتم في الدنيا فأطيعوا الله ورسوله، وأصلحوا أعمالكم، وأصلحوا ذاتَ بينكم، فما هي إلا أيامٌ وتُلاقُون أعمالَكم، وتُواجَهون بما كسبتُم، الدنيا دار العمل، والآخرة دار الجزاء، فمَنْ لم يعمل هنا ندمَ هناك، وكلّ يومٍ يعيشه المرءُ غنيمةٌ، احذروا زلةَ القَدَم، وطولَ الندم، واغتنموا الوجودَ قبلَ العدم، أيُّ حسرات تلحق صاحب الأمنيات؟ وأي ندامات تعصر قلب أهل الغفلات، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون: ٩-١١).

### الأمنيات المشروعة في الدنيا لأهل الإيمان

معاشرَ الإخوة: ومع كل ما سبق من أمنيات الأموات فإن لأهل الإيمان في الدنيا أمنيات مشروعة، منَ الزوج الصالح، والذرية الطيبة، والسِّتر، والعافية، والرزقَ الحلال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٤)، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة: ٢٠١)، وفي الحديث: «لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله القرآنَ فهو يقوم به آناءَ الليل وآناءَ النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو يُنفقه آناءَ الليل وآناءَ النهار»(مُتَّفق عليه).

معاشرَ المسلمين: كما هناك أمنيات عامّة، يَحملها كل مسلم، وكلُّ مخلص، وإننا نسأل اللهَ أن يَمُنَّ بفضله وكرمه على العالم أجمع بالأمن والسلام والرخاء، وأن يرفع عنّا جميعًا البلاء، والوباء، والربا، والزنا، والزلازل، والمحن، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، كما نسأله-سبحانه- بجوده وإحسانه أن يمنّ بحفظ بلاد المسلمين، وأنْ يجمع على الحق والهدى كلمتهم، ويحقن دماءهم، ويفك أسيرَهم، ويجبر كسيرهم، ويؤوي طريدهم، ويبسط الأمن والرخاء في ديارهم.

ألا فاتقوا الله-رحمكم الله- واجتهدوا في طلب الخير لأنفسكم، واسألوا ربَّكم من خيرَي الدنيا والآخرة، وتأمّلوا قولَ بعض السلف: «لو عَلِمَ العبدُ ما بقي له من أجله لزهد في طول أَمَله، ولَجِدَّ في الزيادة في عمله»، فكونوا-رحمكم الله- من ذوي الهِمَم العالية، والأعمال الجليلة، الذين لا يَرضَون بغيرِ جنة الخلد بديلاً، ولا بغير الفردوس منزلاً: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (الإسراء: ١٩).

هذا وصلّوا وسلّموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، نبيكم محمد رسول الله، فقد أمركم بذلك ربُّكم فقال عزَّ منْ قائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦)، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك، نبيك محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين، وعن بقية الصحابة أجمعين، والتابعين ومَنْ تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك وإحسانك، يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمينَ،، وأذلَّ الشركَ والمشركينَ، واحمِ حوزة الدين، واخذل الطغاة والملاحدة وسائر أعداء الملة والدين، اللهم آمنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك، يا ربَّ العالمين.

# العطاء سعادة

إعداد **د. ياسر لمعي عبدالمنعم**
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

**إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. البحث عن السعادة يختلف باختلاف الشخص وحاجته فقد تكمن السعادة في حصولنا على ما حرمنا منه ولذلك فهي: عند الفقراء: الحصول على الثروة، عند المرضى: الامتثال للشفاء، عند العشاق: اللقاء والوصال، عند المغتربين: العودة للوطن، عند السَجناء: تحقيق الحريَة، عند المظلومين: الإنصاف والعدل، وللسفهاء في عدم التقيد بالشرع بحجة الحرية.**

ولكن السعادة الحقيقية نجدها في أمور أخرى منها:

العطاء والإحسان للغير فهو باب عظيم للسعادة وصُنع المعروف من أهمّ خصال السعادة التي يغفُل عنها الناس، وينطبق هنا ما ذكرْناه في الابتسام، ونَزيد عليه بألاّ يحقر الإنسانُ شيئًا من المعروف والخير، فيُساعد المحتاج، ويُغيث الملهوف، ويَعود المريض، ويُرشد السائل، ويَصنع لأخرَق، ويسمع الأصمَّ، ويتصدَّق على المحتاج، ويَبذل كلَّ معروف يستطيعه. ففي الحديث أنَّه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحقرنَّ أحدُكم من المعروف شيئًا)، وقال صلى الله عليه وسلم: (من أفضل العمل إدْخالُ السُّرور على المؤمن).

**وفوائد هذه الأعمال:**

- أنَّها تعود على صاحبها بالسعادة؛ لأنَّه يشعر بقيمته في الحياة، ويحسُّ بأنَّ له دورًا يؤدِّيه، وواجبًا يقوم به، وأنه ليس هملاً، ولا متاعًا زائدًا عن الحاجة؛ لأنَّ الشعور بانعدام القيمة، وعدم الأهميَّة سببٌ من أعظم أسباب الأمراض النفسيَّة، وخاصَّة الاكتئاب؛ - الإحسان إلى الناس من أعظم أبواب السعادة؛ أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسانُ .

وقد روي عن بعض السلف أنه كان يقول: (إنه لتكون بيني وبين الرجل الخصومة، فيلقاني فيلقي عليّ السلام فيلين له قلبي).

إن الانشغال بعمل مفيد، أو عمل نافع، أو محاولة الإبداع فيما يحسن الإنسان وطلاقة البشر-الوجه- والعفوية، والتماس الأعذار، وعدم البحث عن سلبيات الآخرين، أو اتهام النفس قبل الغير (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ) (الأعراف:١٩٩)؛ أعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وابذل نداك، وكف أذاك، وتعاهد من وصلته بمعروف جديد، تجد السعادة في عالم كمن هو أسعد البشر؟! وكم يشعر المنفق والمعطي بسعادة غامرة عندما يستطيع أن يرسم ابتسامة على شفاه حزينة، أو يمسح دمعة من عين باكية، أو أن يمد يده إلى إنسان سيئ الحظ وقع على الأرض فيساعده على الوقوف إن السعادة الكبرى هي في العطاء وليست في الأخذ.

وقد ذكر صاحب كتاب "لا تحزن: بأن:

الإحسان إلى الآخرين انشراحُ للصدر، الجميل كاسمه، والمعروف كرسمه، والخير كطعمه. أولُ المستفيدين من إسعاد النّاس همُ المتفضّلون بهذا الإسعاد، يجنون ثمرتهُ عاجلاً في نفوسهم، وأخلاقهم، وضمائرهم، فيجدون الانشراح والانبساط، والهدوء والسكينة.

فإذا طاف بك طائفٌ من همٍّ أو ألمَّ بك غمٌّ فامنحْ غيرك معروفاً وأسدِ لهُ جميلاً تجد الفرج والرّاحة. أعطِ محروماً، انصر مظلوماً، أنقذْ مكروباً، أطعمْ جائعاً، عدْ مريضاً، أعنْ منكوباً، تجد السعادة تغمرُك من بين يديْك ومنْ خلفك.

إنّ فعل الخير كالطيب ينفعُ حاملهُ وبائعه ومشتريهُ، وعوائدُ الخير النفسيّة عقاقيرُ مباركةٌ تصرف في صيدلية الذي عُمرتْ قلوبهم بالبرّ والإحسان.

إن توزيع البسمات المشرقة على فقراء الأخلاق صدقةٌ جارية في عالم القيم (ولو أن تلقى

أخاك بوجه طلق)

ومن جميل ما ذكر الدكتور عبد الدائم كحيل - بتصرف-:

"الإحسان يجعلك أكثر سعادة" عنوان آخر بحث علمي في رحلة البحث عن أسرار السعادة، حيث ثبت أن إنفاق المال على الفقراء يمنح الإنسان السعادة الحقيقية، أليس هذا ما أكده القرآن؟! لنقرأ...

لفت انتباهي نص عظيم في كتاب الله تبارك وتعالى يؤكد على أهمية الإنفاق والتصدق بشيء من المال على الفقراء والمحتاجين، ويؤكد الله في هذا النص الكريم على أن الذي ينفق أمواله في سبيل الله لا يخاف ولا يحزن، أي تتحقق له السعادة! يقول تبارك وتعالى: (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٦١-٢٦٢).

وهكذا آيات كثيرة تربط بين الصدقة وبين سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولكن البحث الذي صدر حديثاً ونشرته مجلة العلوم يؤكد على هذه الحقيقة القرآنية!!! فقد جاء في هذا الخبر العلمي على موقع بي بي سي أن الباحثين وجدوا علاقة بين الإنفاق وبين السعادة، وقد أحببتُ أن أنقل لكم النص حرفياً من موقعه ونعلق على كل جزء منه بآية كريمة أو حديث شريف:

"يقول باحثون كنديون إن جني مبالغ طائلة من الأموال لا يجلب السعادة لإنسان، بل ما يعزز شعوره بالسعادة هو إنفاق المال على الآخرين. ويقول فريق الباحثين في جامعة بريتيش كولومبيا إن إنفاق أي مبلغ على الآخرين ولو كان خمسة دولارات فقط يبعث السعادة في النفس.

إنهم يؤكدون أن الإنفاق ضروري ولو كان بمبلغ زهيد، أليس هذا ما أكده الحبيب الأعظم عندما قال: (اتقوا النار ولو بشق تمرة) أي بنصف تمرة!! أليس هذا ما أكده القرآن أيضاً بقوله تعالى: (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) (الطلاق: ٧).

ويضيف في البحث الذي نشر في مجلة "العلوم أو سينس" إن الموظفين الذين ينفقون جزءاً من الحوافز التي يحصلون عليها كانوا أكثر سعادة من أولئك الذين لم يفعلوا ذلك. وأجرى الباحثون أولاً دراسات على ٦٣٠ شخصًا طلب منهم أن يقدروا مبلغ سعادتهم، ودخلهم السنوي وتفصيلات بأوجه إنفاقهم أثناء الشهر بما في ذلك تسديد الفواتير وما يشترونه لأنفسهم أو للآخرين. وتقول البروفيسورة إليزابيث دان التي ترأست الفريق: "أردنا أن نختبر نظريتنا بأن كيفية إنفاق الناس لأموالهم هو على الأقل على نفس القدر من الأهمية ككيفية كسبهم لهذه الأموال". وتضيف "بغض النظر عن حجم الدخل الذي يحصل عليه الفرد فإن أولئك الذين أنفقوا أموالاً على آخرين كانوا أكثر سعادة من أولئك الذين أنفقوا أكثر على أنفسهم".

ثم قام فريق بعد ذلك بتقييم مدى سعادة ١٦ من العاملين في إحدى المؤسسات في بوسطن قبل وبعد تلقيهم حوافز من حصيلة الأرباح، والتي تراوحت بين ٣ آلاف دولار و٨ آلاف دولار. وبدا من النتائج أن مقدار الحوافز ليس هو المهم بل أوجه إنفاقها. فأولئك الذي أنفقوا قسما

أكبر من حوافزهم على الآخرين أو تبرعوا بها قالوا: إنهم استفادوا منها أكثر من أولئك الذي أنفقوا حوافزهم على احتياجاتهم.

هذه النتيجة تجعلنا نعتقد أن الإنسان عندما ينفق المال فإنه لا يخسر ولا ينقص ماله بل يزيد!! أليس هذا ما أكده نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم عندما قال: (ما نقص مال من صدقة)؟ أي أنك مهما أنفقت من مالك فلن ينقص هذا المال بل سيزيد لأن هذا الإنفاق يعطيك شعوراً بالسعادة مما يتيح لك التفكير السليم في كيفية الحصول على المال بشكل أفضل! وكان ابنُ المبارك لهُ جارٌ يهوديٌ، فكان يبدأ فيُطعم اليهوديَ قبل أبنائه، ويكسوه قبل أبنائه، فقالوا لليهوديّ: بعنا دارك. قال: داري بألفيْ دينار، ألفٌ قيمتُها، وألفٌ جوارُ ابن المبارك !. فسمع ابن المبارك بذلك، فقال: اللهمَّ اهده إلى الإسلام. فأسلم بإذن الله!.

ومرَّ ابنُ المبارك حاجّاً بقافلة، فرأى امرأةً أخذتْ غراباً ميتاً من مزبلة، فأرسل في أثرها غلامه فسألها، فقالت: ما لنا منذ ثلاثة أيام إلا ما يُلقى بها. فدمعتْ عيناهُ، وأمر بتوزيع القافلة في القرية، وعاد وترك حجّته تلك السنة. فرأى في منامه قائلاً يقول: حجٌّ مبرورٌ، وسعيٌ مشكورٌ، وذنبٌ مغفورٌ.

تتوقف السعادة على ما تستطيع إعطائه، لا على ما تستطيع الحصول عليه أي أنك حين تقدم أشياء يحتاجها الآخرون تسعد.. مثلاً تقدم القليل من المال لمن يحتاجه.. تساعد صديقاً على حل مشكلة.. تقدم طعاماً أو متاعاً لمحتاجيه.. وأقل شيء يمكن أن تقدمه ابتسامة تشعر الآخرين بالرضا والثقة والتفاؤل.. وهذا سيساهم في منحك السعادة..

ولذلك فإن الله قد تعهد أن يضاعف لك المال الذي تنفقه، يقول تعالى: (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (البقرة: ٢٤٥).

وربما قرأنا عن أغنى رجل في العالم "بيل غيتس" عندما قرر أن يتبرع بجزء كبير من ثروته يقدر بعشرات المليارات لأنه أحس أنه من الضروري أن يفعل ذلك ليحصل على السعادة!!!

ويؤكد الباحثون اليوم أن من أهم أسباب كسب المال أن تنفق شيئاً من المال على من يحتاجه! وهذا يعني أن الإنفاق هو سبب من أسباب الرزق! وهذا ما أكده القرآن عندما ربط بين الإنفاق وبين الرزق الكريم، يقول تعالى: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال: ٣-٤).

ويضعون نصيحة مختصرة يقولون: "النصيحة ألا تكنز الأموال" وهنا نتذكر التحذير الإلهي: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ) (التوبة: ٣٤-٣٥).

إن الله جل وعلا، فرض علينا الزكاة، لأنه يريد لنا السعادة، بل وحذر من كنز الأموال وعدم إنفاقها في أبواب الخير والعلم.

هذا، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

# «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ»

إعداد **الشيخ مصطفى البصراتي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

ففي هذا المقال نتكلم عن مثل آخر من الأمثال القرآنية وهو في سورة الحشر في الآيتين السادسة عشرة والسابعة عشرة، وهما قوله تعالى: «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ» (الحشر: ١٦ - ١٧).

## المعنى الإجمالي

قوله تعالى: «كَمَثَلِ الشَّيْطَان إذْ قَالَ للْإنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إنَي بَرِيءٌ مَنكَ» مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين، وقول المنافقين لهم: «وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ» ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة، ومثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سوّل للإنسان -والعياذ بالله- الكفر، فإذا دخل فيما سوله له تبرأ منه وتنصل، وقال: «إنَي أخَافُ اللـهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» فجملة «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ» حال من ضمير «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (الحشر:١٥). أي: في الآخرة. فالمعنى: إذ قال للإنسان في الدنيا: اكفر، فلما كفر ووافى القيامة على الكفر قال الشيطان يوم القيامة: «إنَي بَرِيءٌ مَنك»، أي: قال كل شيطان لقرينه من الإنس: «إنَي بَرِيءٌ مَنكَ» طمعًا في أن يكون ذلك منجيه من العذاب.

وقوله: «فَكَانَ عَاقبَتَهُمَا أَنَهُمَا في النَّارِ خَالدَيْنِ فِيهَا»، أي: فكان عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له، ومصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها، «وَذَلكَ جَزَاءُ الظَّالمِينَ»، أي: جزء كل ظالم. (انظر: تفسير ابن كثير- والجامع لأمثال القرآن لابن القيم).

## مفردات المثل:

«كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ»: أي مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال أو تخاذلهم وعدم تناصرهم، كمثل الشيطان والمراد به

حقيقته لا شيطان الإنس.

«إذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ»: أي أغراه بالكفر: وزيّنه له وحمله عليه والمراد بالإنسان هنا جنس من أطاع الشيطان من نوع الإنسان.

«فَلَمَّا كَفَرَ»: أي الإنسان مطاوعة للشيطان وقبولاً لتزيينه.

«قَالَ»: الشيطان: «إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ» أي قال كل شيطان لقرينه من الإنس «إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ» طمعًا في أن يكون ذلك منجيه من العذاب.

«إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»: قيل: وليس قول الشيطان، إني أخاف الله على حقيقته إنما هو على وجه التبرؤ من الإنسان كذبًا ورياءً، وإلا فهو لا يخاف الله.

«فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ»: فكان عاقبة الشيطان وذلك الإنسان الذي كفر أنهما صائران إلى النار «خَالِدَيْنِ فِيهَا» لا يخرجان منها بحال.

«وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ»: الخارجين عن طاعة الله ورسوله إلى طاعة الشيطان والنفس والهوى من سائر الملل. (مستفاد من تفسير «فتح البيان» لصديق حسن خان، و«تفسير القرآن بالقرآن» لأحمد عبد الرحمن القاسم- و«الجامع لأمثال القرآن» لابن القيم).

**التفسير المفصل:**

قوله تعالى: «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ «١٦» فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ».

معناه: مثل هاتين الفرقتين من المنافقين واليهود من بني النضير كمثل الشيطان والإنسان؛ فالمنافقون مثلهم الشيطان، واليهود من بني النضير مثلهم الإنسان، وذهب مجاهد وجمهور من المتأولين إلى أن الشيطان والإنسان في هذه الآية اسما جنس؛ لأن العرف أن تعمل هذه الشياطين، كما يغوي الشيطان الإنسان ثم يفر عنه بعد أن يورطه، كذلك أغوى المنافقون وبني النضير وحرّضوهم على الثبوت ووعدوهم النصر، فلما غدر بنو النضير وكشفوا عن وجوههم، تركهم المنافقون في أسوأ حال. (المحرر الوجيز لابن عطية).

قال ابن كثير في تفسيره: وقد ذكر بعضهم ههنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل، لا أنها المرادة وحدها بالمثل، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها.

فقال ابن جرير: عن عبد الله بن نهيك قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يقول: إن راهبًا تعبد ستين سنة، وأن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنها (أي أن الشيطان لبسها) ولها إخوةٌ فقال لإخوتها عليكم بهذا القس فيداويها، قال: فجاؤوا بها إليه فداواها وكانت عنده، فبينما هو يومًا عندها إذ أعجبته، فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها، فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك إنك أعييتني، أنا صنعت هذا بك، فأطعني أنجك مما صنعت بك، فاسجد لي سجدة، فسجد، فلما سجد له قال: «إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» (تفسير ابن كثير).

وقوله: «فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا» من تمام المثل. أي كان عاقبة الممثل بهما خسرانهما معًا، وكذلك تكون عاقبة الفريقين أنهما خائبان فيما دبرا وكادا للمسلمين. (الجامع لأمثال القرآن، لابن القيم، ص٢٣٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# حكم
# منع الزوج لزوجته من زيارة والديها ومَحارمها

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي عبده

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:**

**فقد اختلف أهل العلم في حكم خروج المرأة لزيارة والديها أو أحدهما، أو محارمها، وهل لزوجها منعها من ذلك أم لا، وان منعها فهل لها أن تخرج بغير إذنه أم لا ؟ وذلك على النحو التالي:**

**القول الأول: لها أن تخرج لزيارة أهلها، ولا يجوز للزوج منعها:**

وهو مذهب الحنفية والمالكية.

أدلته:

**أولا: من القرآن الكريم:**

١- قال تعالي: « وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ⑭ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (لقمان: ١٤ – ١٥).

٢- قال تعالى: « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا » (الإسراء: ٢٣).

**وجه الدلالة:** أن النصوص الآمرة ببر الوالدين، وصلة

الرحم، ومراعاة حق ذوي القربي، باعتبار أن قيام المرأة بزيارة والديها، وعيادتهما، وتمريضهما، ومواساتهما- وإن لم يأذن الزوج في ذلك- من قبيل برهما، والإحسان إليهما، ومصاحبتهما بالمعروف، واعتبار قيامها بزيارة أقاربها، وعيادتهم، ومواساتهم، ونحو هذا، من قبيل صلة الرحم.

٣- قال تعالى: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» (النساء: ١٩).

وجه الدلالة: أن منعها من صلة هؤلاء ليس من المعاشرة بالمعروف، التي أمر الله الزوج بها في الآية السابقة.

**ثانيا: من السنة النبوية:**

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّه، مَن أحَقُّ النَّاس بِحُسْنِ الصُّحْبَة ؟ قالَ: أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أبُوكَ، ثُمَّ أدْنَاكَ أدْنَاكَ» (رواه البخاري، ومسلم).

وجه الدلالة: أن زيارة الوالدين، والأقارب من حسن الصحبة المأمور بها.

٢- عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بأَكْبَرِ الكَبائِرِ قُلْنا: بَلَى يا رَسولَ اللَّه، قالَ: الإشْراكُ باللَّه، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ، وكانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فقالَ: ألا وقَوْلُ الزُّورِ، وشَهادَةُ الزُّورِ، ألا وقَوْلُ الزُّورِ، وشَهادَةُ الزُّورِ فَما زالَ يقولُها، حتَّى قُلتُ: لا يَسْكُتُ» (رواه البخاري).

وجه الدلالة: أن قطع الرحم من أكبر الكبائر، ومنع الزوجة من زيارة والديها، وأقاربها قطع لرحمها.

٣- عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ» (رواه مسلم).

وجه الدلالة: أن قطع الرحم من موجبات الحرمان من الجنة، ومنع الزوجة من زيارة والديها وأقاربها يدخل تحت ذلك.

قال ابن نجيم الحنفي في «البحر الرائق»: «ولو كان أبوها زمِنًا (أي مريضًا) مثلا، وهو يحتاج إلى خدمتها والزوج يمنعها من تعاهده، فعليها أن تعصيه مسلمًا كان الأب أو كافرا، كذا في فتح القدير، وقد استفيد مما ذكرناه أن لها الخروج إلى زيارة الأبوين والمحارم، فعلى الصحيح المُفتى به: تخرج للوالدين في كل جمعة بإذنه وبغير إذنه، ولزيارة المحارم في كل سنة مرة، بإذنه وبغير إذنه» اهـ.

وقال الشيخ محمد بن يوسف العبدري في «التاج والإكليل على متن خليل المالكي»: «ليس للرجل أن يمنع زوجه من الخروج لدار أبيها وأخيها، ويُقضى عليه بذلك، خلافا لابن حبيب. ابن رشد: هذا الخلاف إنما هو للشابة المأمونة، وأما المتجالَّة (العجوز الفانية) فلا خلاف أنه يُقضى لها بزيارة أبيها وأخيها، وأما الشابة غير المأمونة فلا يقضى لها بالخروج» اهـ.

بل ذهب المالكية في حالة خوف إفساد أبويها لها إلى عدم المنع أيضًا، وقالوا كما جاء في الشرح الكبير وحاشية الدسوقي: «فإذا ادعى الزوج إفساد أبويها لها وأثبت دعواه ببينة قضي بخروجها مع أمينة وأجرة الأمينة على الأبوين لأنهما ظالمان، والظالم أحق بالحمل عليه وقد انتفعا بالزيارة، فإن كان ضرر الأبوين مجرد اتهام فالأجرة على الزوج لانتفاعه بالحفظ» اهـ.

ثالثا: من المعقول:

قالوا: إن منعها من ذلك قد يغريها بعقوقه وبغضه والتنكر له، ولم

تقم العلاقة الزوجية- التي أريد لها الدوام والاستمرار- على البغض والنفور، بل على السكن والمودة والرحمة. قال تعالى: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم: ٢١).

**القول الثاني: للزوج أن يمنعها، ويلزمها طاعته:** وهو مذهب الشافعية والحنابلة، فلا تخرج إليهما إلا بإذنه، لكن ليس له أن يمنعها من كلامهما ولا من زيارتهما لها، إلا أن يخشى ضررًا بزيارتهما، فيمنعهما دفعا للضرر.

**أدلته:**

**أولا: من القرآن الكريم:**

١- قال تعالى: « ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ » (النساء: ٣٤).

وجه الدلالة: من قوامة الرجل على النساء وجوب طاعته فيما أمر، وله أن يمنعها من زيارة والديها وأقاربها، وعليها طاعته.

٢- قال تعالى: « وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (البقرة: ٢٢٨).

وجه الدلالة: أن للرجال درجة القوامة على النساء، والتي تقتضي طاعته فيما أمر، ومنها طاعته إذا نهاها عن زيارة والديها، أو أقاربها.

**ثانيا: من السنة النبوية:**

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «قِيل لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ أيُّ النساءِ خيرٌ ؟ قال: التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعُه إذا أمر، ولا تخالفُه في نفسها ومالها بما يكره» (رواه النسائي، وقال الألباني: حسن صحيح).

وجه الدلالة: قوله صلى الله عليه وسلم: «وتطيعه إذا أمر» عام يشمل كل ما يأمرها به، ومنه أمرها بعدم الخروج من البيت ولو إلى زيارة والديها، وأقاربها.

**الاعتراض عليه:**

إن طاعتها له إنما تكون في المعروف، فيما يتعلق بحقوقه عليها الناشئة عن عقد النكاح، وليس في أمر هو معصية لله تعالى، وهو عقوق والديها وقطيعة رحمها، فمنعها من زيارة ذويها وصلة رحمها والبر بوالديها، لا يدخل تحت ما يجب عليها طاعة زوجها فيه، فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا طاعةَ في مَعْصيَةِ الله، إنَّما الطَّاعَةُ في المَعروف» (رواه مسلم).

قال الشيخ زكريا الأنصاري صاحب كتاب أسنى المطالب الشافعي: «وللزوج منع زوجته من عيادة أبويها ومن شهود جنازتهما وجنازة ولدها، والأولى خلافه» اهـ.

وقال الشيخ المرداوي صاحب الإنصاف الحنبلي: «لا يلزمها طاعة أبويها في فراق زوجها، ولا زيارةٍ ونحوها. بل طاعة زوجها أحق» اهـ.

**القول الراجح:**

هو القول الأول، لقوة أدلتهم، وسلامتها عن المعارض، ولأن التفريق بين الوالدة وولدها من أعظم الضرر الذي نبهت الشريعة على قبحه، فعن أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ فرَّق بين والدةٍ وولدِها، فرَّق الله بينَه وبينَ أحبَّته يومَ القيامة» (رواه الترمذي وحسنه الألباني).

وعليه: فإنه لا يجوز للزوج أن يمنع زوجته من زيارة والديها وأهلها إلا إذا خاف لحوق ضرر جراء ذلك ككونهم أصحاب معاصي مثلاً، وهو يخشى على زوجته منهم أن يُضيعوا دينها ويفسدوا أخلاقها، أو أن يكونوا ممن يحاولون الإيقاع بينه وبين زوجته، ويحاولون إغراءها بعصيانه والتمرد على طاعته، فله حينئذ منعها.

**والحمد لله رب العالمين.**

# جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

## ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدة وعملا وخلقا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

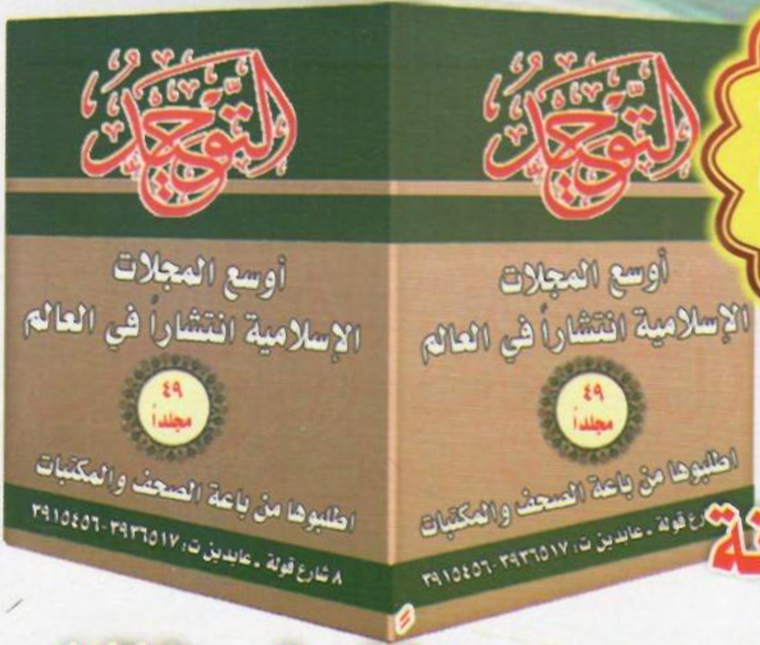
التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٩ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٣٩٣٦٥١٧ - ٣٩١٥٤٥٦

# مفاجأة

## سعر الكرتونة

## ١٠٠٠ جنيه مصري بدلا من ١٢٥٠

**هدايا قيمة**

## لأول ١٠٠ من المشترين

**يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا**

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513